

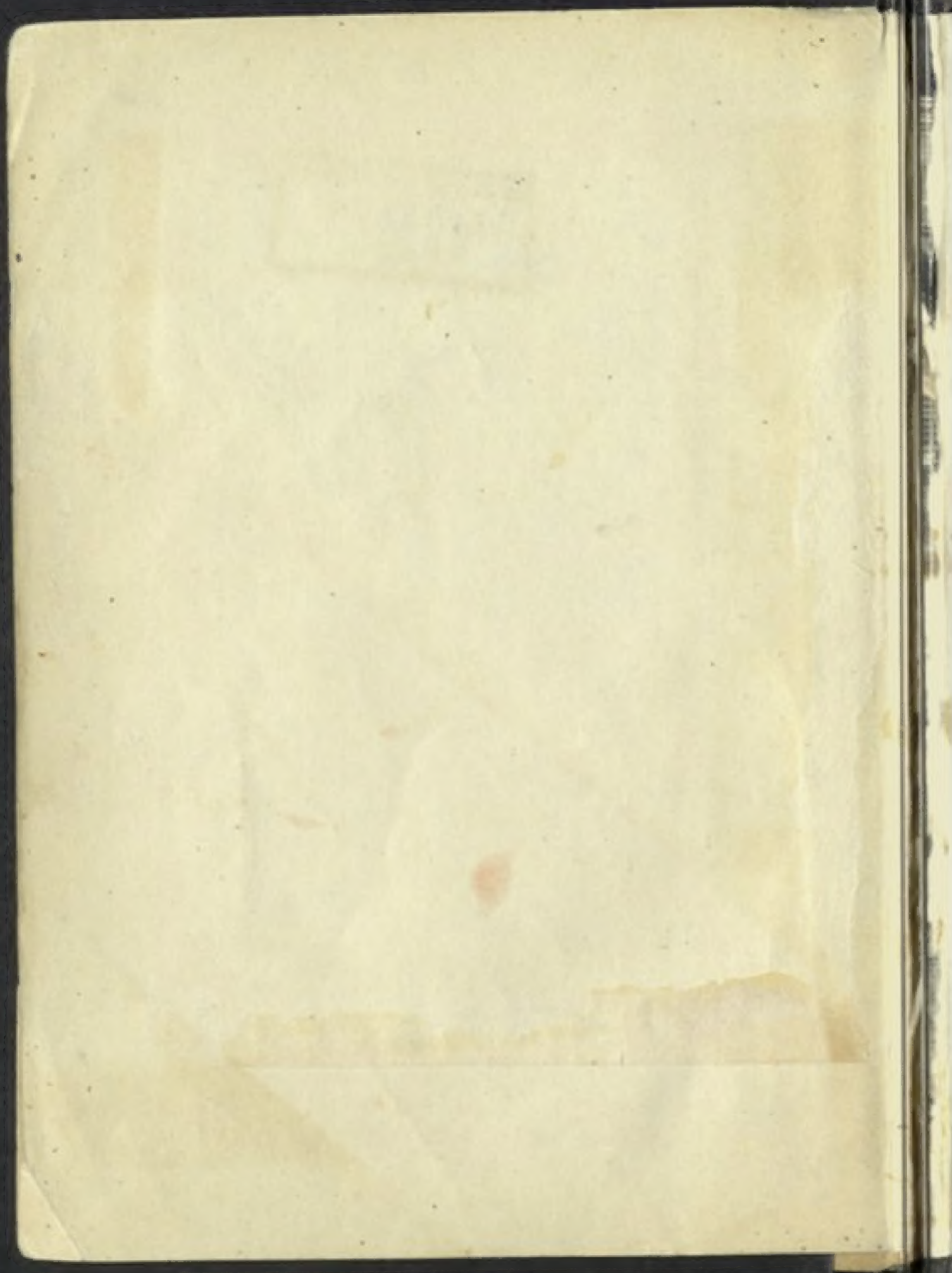
پہنسی

مترادف

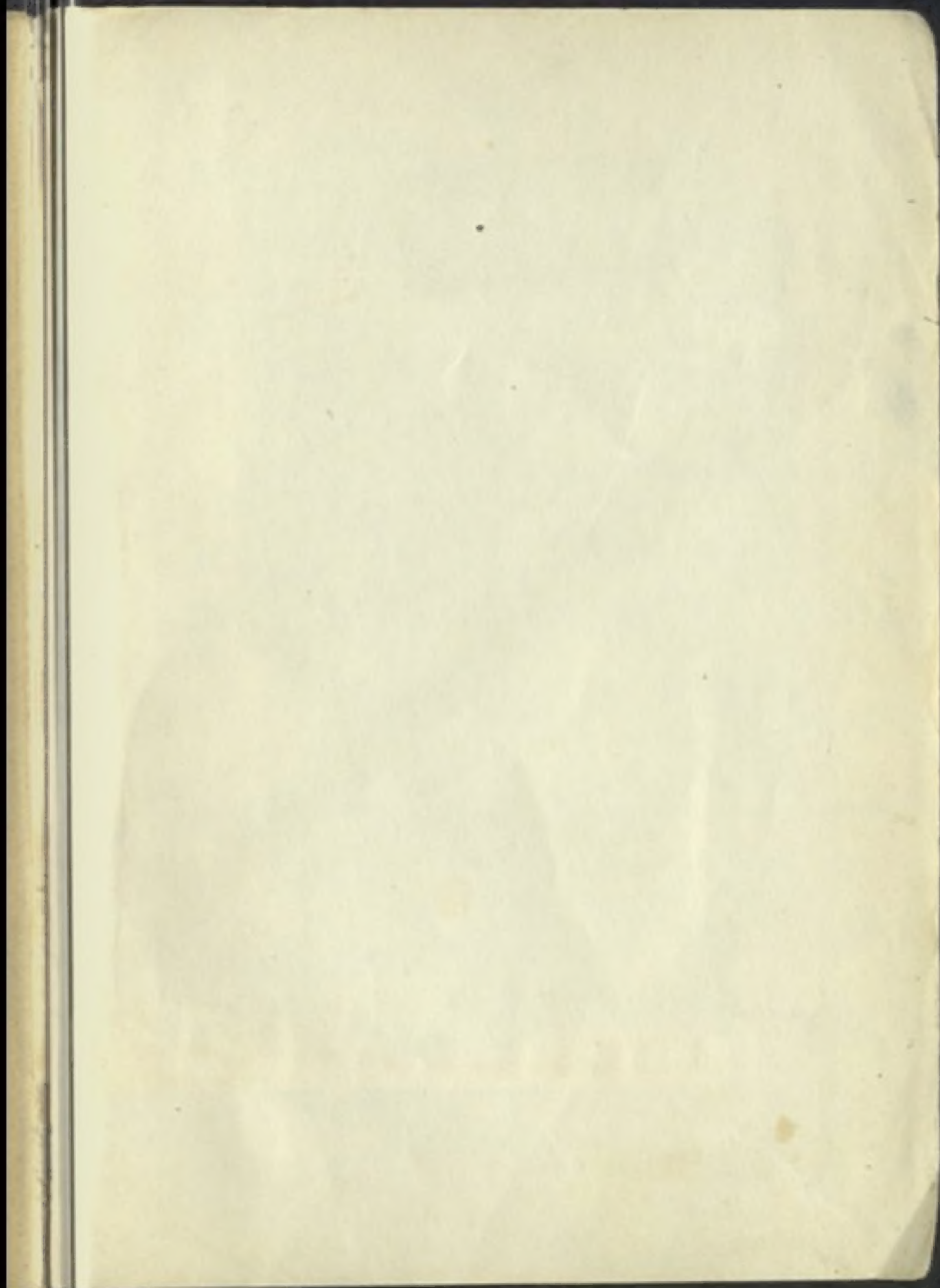


AMERICAN UNIVERSITY  
LIBRARY  
OF BEIRUT













سقراط

۲۱







الكتور على مافظ بحنسي

183.2

B151sA

C.1

# سقراط

٧٨

اقرا

دار المعارف للطباعة والنشر



اقرا ٧٨ - مايو سنة ١٩٤٩



جميع الحقوق محفوظة  
لدار المعارف بصر



## أثينا

أثينا مدينة سقراط أعدت بنيتها في الزمان السعيد للجمال والخير . وحمل السابقون الأولون منهم صور الجمال في القول والفعل إلى منزلة لا تداني لأنهم انصرفوا عن سائر الدنيا إلى ذلك الجمال ، وصارت الإنسانية في لغتهم رجلين إغريقياً أو « بربراً » ولكل منهم مذهب ونظر في الحياة ، فالإغريق القديم العريق لا يحب شيئاً كحبه للحرية وكرامة الإنسان غير ناظر بعد هذا إلى ما يستمسك به البربر من قيم ، كالذي يقصه بلوتارك عن سولون مشرع أثينا حينما قدم على ملك الميديين . فقد ذكر أن سولون مشى في قصر هذا الملك فلقى أمراء ورأى عليهم ثياباً من حرير ورأى من ورأيهم تبعاً وحراساً وعبيداً حتى ظن كل واحد منهم ملكاً . ثم قدم آخر الأمر على مجلس الملك فوجد عليه ثياباً من حرير ذات لون بهيج مزينة بما صنعت العقول من جواهر ، يريد أن يبهر بهيئته سولون . غير أن سولون لم يخفل بشيء مما رأى ، ولم يعجب بشيء مما تزين به هذا الملك ، وأبدى للذين يعقلون أنه يحتقر هذه



القلوب الدنية . فأمر به الملك أن يشهد كنوز الذهب والفضة وما في القصر من متاع ، فرأى سولون كل ذلك مثنى وثلاث ثم رجع بعدئذ إلى مجلس الملك فسأله ذلك الملك : هلا رأيت أحداً أسعد مني ياسولون ؟ فقال سولون : بلى ! رأيت رجلاً من أواسط أهل أثينا يدعى « تيللوس » وكان رجلاً صالحاً وخلف من بعده ذرية طيبة محترمة وترك مالا غير كثير ووهبته المقادير السعادة آخر الأمر فقضى مجيداً في الذود عن وطنه . فظنه الملك مخبولا سفيهاً غيباً ، لأنه لا يرى سعادة هذه الحياة في المال الكثير وفي الذهب والفضة ولا يراها في جاه ملك قوى ذي بأس شديد ، ويراها في عيش رجل خامل بسيط . ثم سأله مرة أخرى : ومن رأيت أسعد مني بعد « تيللوس » ؟ فقال : رأيت « كليوبيس » و « بيتون » وكانا أخوين متحابين يحبان أمهما وكان على أمهما أن تذهب إلى المعبد ذات يوم من أيام الأعياد في عربة يجرها ثوران ، فلما رأيا أمهما تنتظر ولم تحضر البقر حمل كل منهما طرفاً من زمام العربة وجرا العربة بأمهما إلى المعبد والناس معجبون يحسدون هذه الأم السعيدة بما أنجبت . ثم قفلا راجعين بعد ما أديا الصلاة ، ثم حضرنهما الوفاة في ليلهما دون أن يجدا أماً . وقد أصابهما ذلك الذكر الجميل والشرف . فغضب الملك ، فقال سولون : أيها الملك



إن الآلهة وهبتنا نحن الإغريق أوسط الأمور وآتتنا الحكمة  
 فيها آتتنا . وهي حكمة شعبية بسيطة ليس فيها شيء من أبهة  
 الملك وكبريائه . وهذه الحكمة نعظنا أن حياة الإنسان عرضة  
 لغير الزمان . ونعظنا ألا نُسيلم سعادتنا لعرض قد يزول . وألا  
 نحسد رجلاً قد تزول عنه الدنيا . لأن الزمان يأتي على المرء كل  
 حين بما ليس في الحسبان . فإذا حفظت الآلهة على رجل  
 سعادته حتى آخر أيامه عددناه سعيداً . أما من بعد حياة  
 سعيداً وهو لا يدري ما تحبوه له الأيام . فمثله كمثل من يحكم  
 بالنصر لمصارع قبل خاتمة الصراع . وقد أغضب ذلك القول  
 الملك . وكان في المدينة يومئذ « إيزوب » صاحب القصص  
 فعلم ما كان بين سولون وبين الملك . فلام سولون وقال له :  
 يا سولون إما أن تتجنب القرب من الملوك . وإما أن تقر بهم لنقول  
 هم ما يسرهم وما يرضيهم . فقال سولون : بل على العكس  
 إما أن تتجنب الملوك وإما أن تقر بهم فنقول هم الصدق والنصح .  
 وكانت أمة سولون قد هدتها سجية الخيال إلى الخير مثلاً هدتها  
 إلى الشعر والسياسة والتصوير وما نبغت فيه من سائر الفنون .  
 وكان الفرد فيهم حراً وسيداً لا يدين لأحد بشيء . وإذا اجتمعت  
 المدينة في « الأجورا » فعلت ما تشاء غير مكرهة ويتولى إقناعها  
 من يشاء من بنينا . وكان القول البليغ لازماً للسياسة كنزوم



السيف كلاهما أساس للسياسة . والبلاغة هبة من آلهة الشعر  
 « من تصطفى بنات «زيروس» من الملوك وترعى مولده نصب على  
 شفتيه طلا عذياً . وتنساب الفصاحة من فيه حلوة كالشهد .  
 ويتأمله الشعب وهو يقضى في الخصومات بعدل لا يضل ،  
 وإذا خطب لا تزل فصاحته . ويسكن بحكمته كل اختلاف  
 وإن جل » ولا تطيع المدينة سوى ما عليه القانون . والقانون  
 عندهم لا يريد سوى العدل والجمال والخير . ذلك ما تنبغيه  
 القوانين فإن وحدته من في صيغة جامعة مانعة وتسرى على  
 الناس على سواء ولا تبدل لها . هذا ما نسميه قانوناً كما يقول  
 « ديموسين » وإنما نجب طاعة القانون . لأن كل قانون هبة من  
 حقوق الله وهو شرع شرعه الحكماء من الرجال وهو عقد مشترك  
 بين أفراد المدينة وعليهم أن يلائموا بينه وبين حياتهم .  
 وكانت المدينة وآفتها على سواء في تنمية مواهب الفرد ، ولم  
 تمنع في الأعياد العامة وما يأتي على المدينة من أحداث بأن  
 يكون الإنسان شيئاً من دون البطولة . ولم يبلغ الفرد آفاق الجمال  
 والبطولة وحيداً مرضاة للزعماء الغرور والأثرة ، ولم يفعل الأثني  
 شيئاً قبل أن ترضى الآلهة . وكانت أثينا هادياً وموثلاً لآماله  
 وقد أضاعت بحبها طموح النابهين « والوطن أحق بالتمجيد  
 والتفديس في عقيدتهم من الآباء والأمهات وأكبر منزلة عند



الآلهة وعند ذوى الألباب من الناس . ويجب أن يقبل الفرد  
من الوطن ما يدعو إليه الوطن كالجندى الذى لا يرتد عن موقفه  
رغم القتال والجراح . وكان على كل قى أثينى أن يقسم هذا  
القسم إذا دخل الجندية : « لن أضيع شرف ذلك السلاح المقدس  
ولن أتخلى عن رفيقى فى القتال . سأقاتل فى سبيل آلهتى ودارى  
وحيداً أو مع الآخرين . لن أدع الوطن قلبلاً بل سأدعه أعز وأقوى  
مما أتيته . سأطيع الأمر الذى تخليه حكمة الحاكمين . سأخضع  
للقانون القائم ولما تسنه الأمة مجتمعة . فإن هم أحد بتعظيم هذه  
القوانين أو بعصيانها فلن أطيعه بل سأقاتل فى سبيلها وحيدى  
أو مع الجميع وسأحزم شعائر آبائى . »

واليونانى كائن سياسى كما يقول « أرسطو » ، وبهذه الفضيلة  
قدرت للمدينة ثروة من الرجال . ونجمت فى الناهيين قيم  
ممتازة وهم فى حياتهم أمنع من الحصون ، وهم أسوة لخلفائهم  
نصيرهم مصائرهم إلى عيد المدينة . لأن أرواح الأبطال فى  
عقيدتهم حراس وحفظة للمدينة . ولم يكن عجيباً بعد ذلك  
أن تنزع هذه الأمة إلى آفاق لم يبصرها الإنسان فيها خلفهم من  
مدنيات . فالآلهة والمدينة كانوا يدعون الإنسان إلى مباء أسمى  
من الأرض والآلهة والمدينة . أوقدوا هذا القيس المقدس فى  
ضمير الإنسان فأبصر الإنسان أرجاء من الفيد والتخير والجمال .



لم ينكب الإنسان بلديا بالجهل والتضييع والهووان . ولم يعيش  
 الإنسان مكتوفاً مغطى على بصره فلا يرى له وطناً ولا يدرى  
 إلا ما يصير . واستغلت الأدبان عليه كبا يطيب نفساً بالظلام .  
 لا يفهم الأتشيون هذا البطش الذي أورث الإنسان السقوط .  
 فمن يعذب يأنم ومن يخوف يكذب . ثم يأتي مفكر بعد ذلك  
 فينخذ هذه الظلمات برهاناً على ما ركب في غرائر الإنسان من  
 إثم . فما كان الإنسان ملكاً فهو . وما كان عليه أن يكفر  
 عن سيئاته حياً وميتاً . لكن الإنسان إنسان وكفى . لو أطلق  
 عقله وحمل عن كاهله ما ورث من بغى السنين لاوتد جيلا  
 كما كان الأحرار النابغون في الزمان السعيد . فالمذنبات المتعاقبة  
 ألقت في يقين الإنسان أنه عدم أمام الأبدية وصيرته حقيراً أمام  
 الموت . وأورثته احتقار الحياة القائمة . وضحت به في سبيل  
 الدولة . وبذلك خلقت فقيراً عند كما يقول « نين » . وخلقت  
 الموظف المصري والصيني وكاهن القرون الوسطى والرعية  
 المحكومة في الزمان الحديث . وتحت هذا البطش قضى على الإنسان  
 أن يكون ضئيلاً وأن يكون دورة في فلك هائل لا يعرف  
 كيف يسير . أما في بلاد الإغريق فقد سحرت النظم في سبيل  
 الإنسان ولم يسخر الإنسان في سبيل النظم . لم تجعل النظم  
 غلبة وإنما اتخذت النظم أداة يتم فيها الفرد نمواً كاملاً متناسفاً ،

بل كان ما هو أحق من ذلك فلم يشعر الفرد بطلاق بيته وبين  
 الدولة . فعادة الفرد رهينة بسعادة الدولة وسعادة الدولة لا تنفصم  
 عن سعادة الفرد . وسعادة الفرد في رضى الآلهة . والآلهة تستمتع  
 بنجال الإنسان ونبله . ولا أحب إلينا مما يقول الفيلسوف  
 « رينان Renan » : ظهرت في التاريخ معجزة وهي اليونان  
 القديمة . نعم منذ خمسمائة عام تقريباً قبل المسيح تم في عمر  
 الإنسان رسم طراز تام كامل من المدنية . فلما انشق نوره دخل  
 ما قبله في ليل التاريخ فقد ولدت العقل والحريّة حقاً . وأشرقت  
 طلعة المواطن والفرد الحر في صفحة الحياة البشرية . وأخرى  
 هذا الإنسان الحديد بنبله وكرامته البسيطة كل ما سبقه من  
 عظمة الملوك وجاههم . وبنيت الأخلاق على العقل وتجردت من  
 خرافات الأساطير وصارت حقيقة ثابتة خالدة . وأطلع الإنسان  
 أو كاد على حقيقة الطبيعة والآلهة . ونجرد الإنسان من فزع  
 طفولته ومضى بقلب مطمئن إلى مصيره . وبنى العلم أى  
 الحكمة الحقّة . ولاحق في أفق العلم للإنسان أحياناً قواعد الكون  
 المادى وإن لم يستمسك بأهدافها يوماً فإن مبدأها قد وجد .  
 وإن « كوبرنيك » و « جاليليه » و « نيوتون » لم يفعلوا إلا أن  
 يستخرجوا نتيجة أبحاثهم مما وجدته اليونان .  
 أما في الفن فبنا إلهي ! فأى ثمر أثمروا وأى عالم من الآلهات



والآلهة وأى انقلاب سماوى ! اليونان وجدت الجمال كما وجدت العقل . وقد صنع الشرق تماثيل من قبلهم كما وجد بعض بلاد الشرق من قبلهم سبيلا لأن تغنيهم عن تدخل الآلهة فى كل شيء . ولكن الإغريق وحدهم اكتشفوا قوانين ثابتة للطبيعة . واليونان وحدهم اكتشفوا سر الجمال والحق والنظام والمثل الأعلى . وقضى على الإنسان من بعدهم أن يدخل فى مدرستهم . وذلك ما فعلته روما من بعد وما فعلته النهضة وما سيفعله رجال النهضة المقبلة كلما تردت الإنسانية فى ظلمات الوحشية . فى هذه الساعة الحاسمة من تاريخ الإنسانية وجد سر الحياة « Zo Kahor » وهو الجمال . وخاصة هذا المزيج العذب بين الجمال والخير « Zo Kahor Kayabor » يا إلهى ! ما أعجب هذا القول ! يومئذ استمد الإنسان النبيل من قلبه مبادئ النبيل وصارت الحقيقة والخير والجمال قطب الرحى الذى تدور حوله حياتنا . وقد استأثر الإغريق بالإيمان بالمجد والثقة واليقين فى المستقبل . والمجد شيء من خلق الإغريق فحياة الفرد معدودة ولكن ذكاه خالدة وفى هذه الذكري يحيا الإنسان حياته الحقة .

## سقراط

( ولد سقراط سنة ٤٧٠ قبل المسيح ومات سنة ٣٩٩ -

قبل المسيح )

لم يكن سقراط كأحد من رجال أثينا ، في زمانه ، وكان  
الأقدار قد فارقت بينه وبين قومه قصداً وعمداً . لقد باهت  
أثينا يومئذ بحال بنينا ، وكان الحال ديناً في المدينة . تولت  
إليه أفئدة الأثينيين جسماً ومعنى . وكان نبعاً للمصورين  
والمثاليين يظهر آياته فيما خلقوا من تماثيل وصور . وكان  
غاية المفكرين الذين يردون الفضيلة إلى الجمال . وكان أساساً  
للخير وللحياة ... وتفرد الأثينيون بهذا الإدراك المرهف الذي  
يرد كل شيء إلى الجمال ، ولا يكاد « البربار » من غير الأثينيين  
يقدرّون هذه الظاهرة حتى قدرها .

وكانت الحاسة المميّزة للعنفية اليونانية هي حاسة الجمال  
التي صبرتهم فنانيين يؤمنون بفنهم لحماً ودماً ، وأرهفت نفوسهم  
حتى تشابه ما أبدعوه في كل شيء . فأشبه شعراؤهم فلاسفتهم  
وأشبه فلاسفتهم مصوريهم ، وما كان غذاء لقلب « فيدياس »



كان نفسه غداء لقلب « بيركليس » و « سوفوكل » و « سقراط »  
 والتابعين من أبناء أثينا جميعاً . ولا قبل لأحد بهذه الصور  
 ما لم تقدر له حياة تقدر الجبال تقديساً . ونرى سقراط يسأل  
 تلاميذه بعد غيبة عن المدينة عما عسى أن تكون قد أنجبت  
 في الجبال والفلسفة كالذي يرويه أفلاطون . قال سقراط :  
 « قدمت خشية الأمس من معسكر « بوتيديا » فاشتقت بعد  
 غياب طويل إلى أن أرد التواحي التي ألفت أن أغشاها .  
 فقدمت ساحة « ناوراس » أمام معبد « بازيليوس » ولاقيت  
 هنالك فئة كثيرة من أصحابي ورأيت فيهم فئة لم أكن أعرفها .  
 فلما أبصروني قادماً حيون من بعيد من كل مكان . واستخف  
 الترح « شريفون » كعادته ففرق من بينهم حتى أمسك بيدي  
 وقال : « يا سقراط . كيف نجوت من القتال ؟ » وذلك لأن  
 موقعة قد وقعت في « بوتيديا » قبل أن أبرج العسكر لم نعلم  
 المدينة من أنبائها سوى أخبارها الأولى . فأجبت : إن الأمر  
 كما ترى . فقال : قد سمعنا أن موقعة رهيبة قد وقعت وأن كثيراً  
 من أصدقائنا قد هلكوا . فقلت : إنك لم تسمع إلا صدقاً .  
 فقال : وهل شهدت الموقعة ؟ فقلت : نعم شهدتها . فقال :  
 اجلس وحدثنا . فلما لا نعرف الأمر كله عن بينة . ثم أجلسني  
 بجانب « كريتياس » ابن « كلايسخرون » فحيت « كريتياس »

وسائر الخاضعين وحدثهم عما شهدت في العسكر وأجبت كل  
سائل سألني . فلما رويت ظمأهم من أنباء الحروب سألتهم عن  
أنباء المدينة . فقلت لهم : ما أمر الفلسفة وما أمر شبابنا . فهل  
نبيغ نابغ في الفلسفة أو في الجمال أو فيهما معاً ؟ فنظر كرتيناس  
صوب الباب فرأى فتية قادمين يتصارعون وكان من ورائهم  
زحام وجمع . ثم قال : يا سقراط أما عن الجمال فستشهد ذلك  
بنفسك . إن هؤلاء الفتية الذين ترى إنما يتنافسون على حب  
من يعدونه أجمل أبناء أثينا اليوم . وما أظنه بعيد . فقلت : ومن  
عسى أن يكون هذا الجميل ومن أبوه ؟ فقال : إنك تعرفه حق  
المعرفة غير أنه لم يكن إلا طفلاً يوم سافرت ولا ريب أنك  
تعرف « شارميدس » ابن عمي « جلوكون » . فقلت :  
نعم وربي إنني أعرفه وقد رأيته غلاماً وما أحسبه اليوم إلا فتى  
راشداً . فقال : ستري بنفسك كم نما ذلك الفتى . ولم يكده  
يفرغ من حديثه حتى دخل شارميدس . فقلت : إنني لست  
بحكم في هذا الأمر ولست بمميزان قويم في الجمال وإن الشباب  
جميعاً جميل . ولكن هذا الفتى قد أوثى جمالا بارعاً وإن رفقه  
يحبونه كما أرى .....  
ورأى الأطفال أنفسهم لا يصرفون أعينهم عنه حتى أصغروهم  
سنا وهم جميعاً يتأملونه كأنه تمثال جميل .....



ثم قلت : بحق هيرقل إن هذا الفنى لا يبره أحد لو زدها نخلة  
صغيرة . فقال « كريتياس » : وما هذه النخلة الصغيرة ؟  
فقلت : لو أن له مع ذلك الجمال قلباً طيباً نبيلاً .

على حين يفتن قوم سقراط بالجمال فى كل شيء كما رأينا  
تريد حكمة الأقدار ألا تجعل لسقراط حظاً من الجمال فى  
الجسم ... فهو أشبه ببعض الأحياء المائية ، كان أفطس الأنف  
مبطوح العينين مكور الرأس خشن الهيئة ، لا يبدل عيائه  
فى الشتاء ولا فى الصيف ويمضى حائى القدمين ولا يستعمل إلا فى  
الأعياد الدينية . وكان من وراء هذه الهيئة روح مفردة فى  
الجمال والعقل . والذين يتفكرون فى حياة سقراط يرونه طبعاً  
لقوة نفسية عظيمة متحيرة لا يستطيع أن يعصيا مهما أمرته ،  
وكان قومه يشهدونه مغرباً فى التفكير ممعناً فى الانصراف عما  
حوله غارقاً فى تأملاته فيسخر منه الجاهلون وكثير ما هم . لم  
يعرف جبل الشيوخ فى زمانه وجه الحق من حياة هذا الغريب .  
ولم يفجأ أولئك الآباء إلا ما يردد أطفالهم فى بيوتهم عن قوة  
سقراط فى الإقناع والعقل . وقد ذكر تلميذه « إكزيتون »  
أن « أنتيقون » أحد السوفسطائيين قال ذات يوم لسقراط :  
« إني أظنك باسقراط عادلاً . ولكنى لا أظنك حكماً وأحسبك  
تفرى على ذلك فأنتك . لا تكسب من تلاميذك مالا ومع ذلك

فلأنك لا تتخلى عن عباءتك ولا عن بيتك ولا عن شيء مما  
تملك دون مقابل ولا بشئ دون ثمنها . فكيف بك لا تقدر  
دروسك بمال وأنت تعرف قدرها؟ فأنت عادل لأنك لا تغربك  
الثراء . ولست بحكيم لأنك لا تزن هذه الدروس بثمن . فأجابه  
سقراط : « اسمع يا «أنثيفون» إنا نعد حكماً كل امرئ يكتسب  
صداقة الذين يحبون الجمال والخير . ونسمى سوفسطائيين أولئك  
الذين يتجرون بالعلم فيبيعونه من شاء . فأما من رأى إنساناً خيراً  
فلقنه ما يعرف من خير فقد اكتسب صديقاً . ومن يفعل ذلك  
فقد فعل ما ينبغي أن يفعله الخيرون الطيبون . أما أنا «ياأنثيفون»  
فأحب أن أمتلك أصدقاء صالحين وأن أعلمهم ما أعلم من  
خير وأن أرسلهم إلى من عسى أن يزودهم بالفضل . ونحن  
نقرأ جميعاً كنوز حكمة السابقين وأبين لهم ما انطوت عليه حكمة  
الأقدمين من خير . فإن أصبنا خيراً وجدنا كسباً كبيراً بما ينبغي  
بعضنا من بعض من نفع . »

وتجافى سقراط عن أن يراى الناس مرضاة للناس . واتبع  
سقراط قلبه فلم يحتفل بشيء من دون الحق . وعاش غريباً على  
الجاهلين الذين لم يستمعوا إلى حديثه . وزادهم عجباً أن اختار  
سقراط لرسالته الشباب من دون الشيوخ . ولقى الشباب من



سقراط ما فتىهم من وفاء وصدق . وأصاب الظاهرين من  
 شيوخ المدينة شرر من لومه فقد صرح كبر بأهمهم . بأنباب  
 وأضرار . وكانت مقاليد المدينة بين أيدي هؤلاء الشيوخ . وقد  
 غلبت عليهم المنافع الذاتية وغابت عنهم منفعة المدينة العامة  
 التي لا تصلح إلا بما صلح به أولها وهو التفضيلة . ولم يعترف  
 بفضل سقراط إلا الخيرون من فتيه المدينة . ولا تشرق شمس  
 حتى يستضيء بنورها قوم ويعشى بضوئها قوم ولا ريب أن  
 كثيراً من الأثينيين قد استهزؤا بهذا الرجل الغريب الذي  
 لا يبهر أبصارهم بحال ولا ينجده ولا يكذب . وإنما تجرد عن  
 هذا جميعاً وجاءهم بوجه قبيح . وحسب هذا الرجل أن يتكلم  
 حتى يكون أجمل الناس خلقاً . وقد أقر تلاميذه المقربون بهذا السحر  
 القاتل وتردد إعجابهم على آذان آبائهم وأمهاتهم . إنه شبه  
 بصور « السيلين » (١) .

وإن سقراط لأشبه الناس بنماذج « السيلين » التي ترى في  
 مصانع المثالين والذين يصورهم المثالون وفي أفواههم مزمار . فإذا

( ١ ) أي بنماذج الشيوخ السكارى المتسفخة أوجههم من الخمر  
 وتراهم ثملين وترى في أفواههم مزماراً وهم أنصاف آلهة ولدوا  
 من « بان » إله الفن ومن إحدى الحور . وهم آباء « باخوس »  
 إله الخمر وهم رمز الحكمة والوحى والنبوة .

فتح باطنها تكشفت عن تماثيل صغيرة للآلهة . بل إن سقراط  
أشبه بصورة « مارسيا » ، أي بزمار الناي . ولست تنكر  
يا سقراط أن بينك وبين هؤلاء شبيهاً في ظاهر تخليقتك . ثم  
انظر كيف تشبههم فيها وراء ذلك . إنك منهمك ساخر فهل  
تنكر ذلك ؟ فإن لم تعترف فسأني عليك بالشهداء . أقول إنك  
لا تعترف على ناي ؟ بل وربي ! إنك أفتن نغماً من مارسيا ،  
فقد كان مارسيا بحاجة إلى ناي ليسحر الناس بزمره وكذلك  
يعلن الذين يعزفون على مزماره اليوم . وهو الذي علم « أبولون »  
العزف على الناي . وألحان مارسيا إن عزفها عزف ماهر  
أو غافق ما . ردت الإنسان شبيهاً بالآلهة وأدخلته في أسرار  
الجمال . وذلك بأنها ألحان إلهية . أما أنت يا سقراط فالفرق  
بينك وبين مارسيا أنك لا مزمار لك ولكنك أوتيت مسحرة  
وفعلت فعله ببيانك الجميل . ونحن إذا سمعنا أخطب الخطباء  
لا تتأثر به في شيء أما أنت يا سقراط فإن سمعت سامع أو  
روى كلامك روى منها كان حظه من العلم اضطربت أفئدة  
السامعين وأخذت عليهم كل مذهب . سواء كانوا رجالاً أو  
نساء أو فتية .

ويعترف تلاميذ سقراط بسلطانه على نفوسهم وما يلقون حين  
يسمعون إليه من سحر فائن . فقد كان يعيش بينهم كالأطفال



ويتخلق بهم الخلق البسطاء . وكانوا يصارعونه . ويحتدبون شعره  
 بأظافرهم . وكان كما يقول أحد تلاميذه : « إذا خالط الناس  
 تشبه بالأطفال والبسطاء . وإن جد كشف عما في قلبه . وما  
 أدري أيصر الناس ما في قلبه من صور ولكني أبصرها وأجدتها  
 نفحة من نفحات الله وأراها كثيراً جميلاً ثميناً فائداً ولا أستطيع  
 أن أعصى له أمراً ... »

هيات إذن بين ظاهر الحياة في صورة سقراط وبين ما  
 تخفي هذه الصورة من حكمة . ولا ريب أن هذا التقيض بين  
 ظاهر الأمر وباطنه جعل سقراط فريسة للحكم المتعجلين من  
 الأثينيين والذين يسرعون إلى الحكم عن ظاهر الأشياء أما  
 تلاميذه فلا يستطيعون دفعاً لسلطانه على قلوبهم كما يعترف  
 بذلك « السياد » : « إني إن سمعته ارتجف قلبي وجرى  
 دمعي من آثار ما يقول وأرى كثيرين من ذوي يفعلون ما أفعل .  
 ولو أنني سمعت « بريكليس » أو سمعت خطيباً من الخطباء  
 المشهورين فلاني أعترف بفصاحته ولكني لا أجد في  
 فصاحتهم ما أجد في كلام سقراط ولا يرتجف فؤادي من  
 شيء ولا تشور نفسي على ما يقبدها من أسر . ولكني إذا  
 سمعت سقراط — هذا المارسياس — آمنت أنني لا ينبغي

لى أن أعيش كما أعيش ( ولست تنكر يا سقراط أننى أقول  
حقاً وصدقاً ) وما أحسنى إن أصغيت إليه الآن بقادر على أن  
أدفع سحره وسلطانه عن نفسى وألا أجد منه ما وجدته من  
قبل . سيكرهنى على أن أقربىنى وبين نفسى أننى ناقص فى  
كثير من الأمر وأننى أغفل نفسى وأدبر أمور الأثينيين . وأنا  
أسد أذى مكرهاً كالدين يمرون بجزر « السيرين » وأولى منه  
فراراً خشية أن أصحابه فلا أبرحه حتى أبلغ شيخوخى .

ولم ينبج سقراط زماناً طويلاً من رأى قاصر ظالم فقد رآه  
الأثينيون يمشى فى الأسواق فقيراً خافياً يجادل من يلاقى على  
السييل ويفهم مجادليه بالحق . ويزيدهم خبالاً أن هذا  
الإنسان الذى يقر بالجهل قد أنزل العلماء من صياصبيهم ومرغ  
كبريائهم فى التراب وعثرى عن غرورهم وجهلهم . وكانوا  
ينقضون عليه كما يقول « ديوجين لايرت » وكلما ضيق الخناق  
على مجادليه ضربوه واجتلبوا شعره واحتقروه ولكنه كان يصبر  
على أذاهم واحتقارهم وكان يهجرهم هجراً جميلاً . ولو أن أحداً  
منهم رفسه غفا عنه وقال : « أولو رفسنى حماراً رفسته » وازداد  
الجاهلون ضلالاً بما رأوا من امرأة سقراط فقد كانت تنور  
على رجلها ثم ترمى وتربى وترميه بالماء . وكان يتقبل أذاها



عفواً رخصياً ثم يقول : « أولم أقل لكم إن « كزنتيب » سترعد  
 ثم تمطر » وكانت تتبعه في الأسواق فتضربه وتشق عيائه عن  
 ظهره فيثور له الناس ويبدون لوبضربها ، ولكن سقراط كان  
 يمضي هادئاً ويحدثهم أن الفارس يحب الفرس الخرون حتى إذا  
 عرف أن يعبد ثورته هان عليه كل فرس بعده ، وكذلك أمرى .  
 لقد أوتيت امرأة عنيفة جامحة فإذا صبرت عليها واحتملت  
 أذاها هان على ما قد أتى من الناس جميعاً .

واحتمل سقراط في سبيل رسالته أذى أشد من سخرية  
 العامة ، فقد عده « أريستوفان » سوفسطائياً مفسداً لعقول  
 الناشئين مبدداً للدين الأقدمين صارفاً لآمالهم عن سياسة المدينة .  
 وكلا الرجلين كان يرمى إلى إصلاح واحد وهو الإبقاء على فقسيلة  
 الأقدمين . غير أن الوسيلة مختلفة لأن الكوميديا القديمة كانت  
 تحارب البدع المستحدثة في نفوس الأحياء والناشئين بالهجاء .  
 إنما يهجو أريستوفان رذيلة الأثينيين ورذيلة الحاكمين منهم  
 خاصة . ويريد أريستوفان أن يستعسك قومه بالمذاهب الأولى  
 التي خلفت البطولة في آباء الأثينيين . ويريد أن يرد للتعليم القديم  
 سلطانه ، وهو الذي أثمر ثمره يوم كرمت العدالة والحكمة في  
 أفئدة الناس « وكان لا يحل لطفل أن يهمس بصوته وكان

الصبية طيعين مخشوشتين منذ الصبا . وكان صبية كل حي  
 يبكرون في صفوف منتظمة متراصة إلى معلم الموسيقى ثم  
 يحفظون ما يعلمون من أناشيد . وكانوا حراساً على أن يحافظوا  
 على ما ورثوا عن آبائهم من نغم ومن يخرج منهم عن النغم  
 الموروث هزوا أو لعباً انما لوالديه ضرباً حتى لا تضعيع آلهات  
 الفن . وكانوا يذهبون بعد هذا إلى معلم الرياضة منصرفين  
 بألبابهم إلى الرياضة كامليين لا يعشون بأصواتهم ولا يتبدلون  
 قصداً بأجسامهم . وعلى هذه القيم شب أبطال ماراتون .  
 ويريد أريستوفان أن يتعلم الناس المضيئة « انخذلى أيها الشاب  
 رقيقاً عن يقين فإن فعلت فستجافى عن « الأجورا » وتكره  
 أن تغشى الحمامات العامة وتستحي من العار وتثور إن سخر  
 منك ساخر وتقوم من مقعدك إن أقبل عليك الشيوخ . ولا  
 تسهر والدبك ولا تجيئ أمراً نكراً يشوه ما يزينك من حياء . ولا  
 ترمى بنفسك في أحضان راقصة . ولا ترد على أبويك قولاً .  
 وستقضى في ساعات اللعب زمانك وضاءاً مزهراً بدلاً من هذه  
 الشريرة الخوفا التي لا تغني شيئاً عن أبناء هذا الزمان . وبدلاً  
 من أن تدخل فيما لا يعينك من الجدل والإسفاف . بل تعدو  
 إلى الأكاديمية تحت ظلال الزيتون المقدس متوجهاً بناج من  
 غصن لطيف أنت ورفيق عاقل من سنك . وتنسم خلياً عبق



الزهور وورق الكافور الأبيض حين يتساقط وتستمتع بالربيع  
حينما يحف شجر «الهلاتان» «الهانيليا» كأنما يفضيان بعضهما  
لبعض بسر. فإن فعلت ما أوصيك به وتفكرت فيه بقلبك  
فسيكون صدرك مليئاً أبداً ويكون لولك وضاءاً أبداً .

فالقصد مجتمع بين أريسطوفان وسقراط . ومع ذلك يصور  
أريسطوفان سقراط صورة البدعة المستحدثة والضلالة المتلفة  
عند الأولين . فهو في رواية «السحب» صاحب مدرسة  
تصرف التلاميذ صرفاً عن سنة الأقدمين . وهم شاحبون معتلون  
قابعون يتفكرون في حل ما لا يغني عن الأمر . ومن يقرع باب  
باب المدرسة يقطع على التلاميذ نيار أفكارهم . وقد سأل سقراط  
«شربقون» عن هذه المسألة : «كم قدماً من أقدام البرغوث نفسه  
يستطيع برغوث أن يثب ٢» لأن برغوثاً أكل شربقون من حاجبه  
ثم وثب إلى رأس سقراط . ويذهب أريسطوفان إلى أن سقراط  
قاس هذه المسافة قياساً عجيباً . فقد أذاب شمعاً ثم جاء  
بالبرغوث فغمس قدميه في الشمع حتى إذا برد الشمع على  
قدمي البرغوث فصار كأن بقدميه نعالاً فارسية . أخذ هذه النعال  
فقاس بها المسافة ومائل أخرى من أشباه هذه السخریات . .  
ولا يكاد يكشف الستار عن مدرسة سقراط حتى يرى سقراط

جالساً في رسلّة معلقة في الهواء لأن الأرض تجذب إليها كل شيء حتى الأفكار - كما ينهكم أرسطوفان - ولا يستطيع سقراط أن يرقى إلى الأفكار السماوية حتى ينزل عن الأرض . ثم إن سقراط بعيد السحاب من دون آفة المدينة . وسقراط منسوطاً يمشي في الطرقات صلفاً وينظر بجانب عينيه ويمشي حافي القدمين . وهو محاور لا يجاري ويقلب الباطل حقاً ويقضي بهذه السفطة على سائر القيم الموروثة في نفوس تلاميذه . وتلاميذه يوم يخرجون من مدرسته أهل لأن يضربوا آباءهم ثم يفتنعوهم أنهم على حق فيما يفعلون .

ومهما ضحك بعض الأثينيين من مذهب سقراط وسخروا من حياته فلا يعبأ سقراط في شيء بهؤلاء الساخرين ، فقد عرف الأثينيون أيامه بالتعجل في الرأي وصار الشعب في هجاء أرسطوفان نفسه كالشيخ الذي ارتد طفلاً لا ينفع لديه إلا المتعلقون الكاذبون . ولكن سقراط عارض السيل واستمسك بالحق وحده وأعرض عن إرضاء العامة بتعليمه وتمذهبه في الحياة . وإذا اختلف قوله عن غايات الأكثرين صمد لم صابراً ، ذلك بأنه كان يحب الحكمة وهم يحبون أهواء العامة . والحكمة لا تتلون بهوى العامة وإنما هي صادقة مؤمنة بالحق . والخلاف



بين الذين يحبون أن يرضوا أهواء العامة وبين سقراط . إن  
 هؤلاء متقابلون مذهبون وسقراط ثابت لا يتحول . وقد عجب  
 أحد محاوريه من مذهبه الذي جاوز طاقة البشر فقال له سقراط :  
 إني وإياك لعل خلاف فيما نحب ، فإني واله بالفلسفة وأنت واله  
 بأهواء العامة من الأثينيين وقد شهدتك غير مرة لا تعصى بحبوبك  
 قولاً رغم ما أوتيت من مقدرة ، بل أراك متردداً ذات اليقين  
 وذات اليأس وأراك لا تقيم على رأيك في الشايع السياسية إذا  
 عارضك عامة الأثينيين ، ونراك تتحول فتقول ما شاءت لهم  
 أهوائهم ولا تستطيع أن تخالف « ليلي » وقولها . ولو أن أحداً  
 عجب لما تقول مرضاة للعامة لأجبهته — إن أحييت الصديق —  
 أنك لن تقلع عن تضاربك حتى تقلع « لبلاك » عن أهوائها  
 المتضاربة . فأعلم أنني من جانبي لن أسمعك غير هذا القول  
 ولا تعجب أن ترائي أقول ما أقول ولكن قل للفلسفة « لبلاي »  
 أن تقلع عما تأمرني به . إنها تقول أيها الصاحب العزيز كل  
 ما سمعتني أقول وهي لا تنذبذب فيما تقول ، وهي التي تقول ما  
 أدهشك مما حضرت الآن وما عليك إلا أن تكذبها فيما ذهبت  
 إليه وهو أن الظلم أكبر الشرور جميعاً . والذين لا يكفرون عما  
 اقترفوا من إثم أولئك لهم عذاب وبيل . فإن لم تغير قولها فبحق  
 الكلب إله المصريين ما أنت بمنسجم مع نفسك ولكنتك تعيش

حياتك في خلاف مع نفسك ، أما أنا يا عزيزي فقد أوشر أن  
أحمل قيثارة مضطرب الأوتار مختلف الأنغام أو أن أكون على  
رأس « كوراس » فلا أستطيع أن أسيره . وأوشر أن أكون في جانب  
والناس أكثرهم في جانب لا تنفق ولا تأتلف على أن أعيش  
في خلاف مع نفسي وحدها وأن أقول غير ما أقتنع .



## سقراط والتعليم الأثيني

كان اليونان في سياستهم يعدون التعليم أساس مجد المدينة .  
وهم هنالك يعدون الفرد لتحقيق مآرب الدولة . لأن مجد الدولة  
معتقد بنفوس أفرادها . ولا يحمل الأفراد نفوساً كباراً ما لم  
يجدوا سبيلاً إلى صور المجد والإيمان بجمال الفعال . بل ذهبوا  
إلى أن لكل حكومة نظاماً خاصة في التعليم : فالديمقراطية تعلم  
الأفراد على سواء . والارستقراطية تعلم من تعددهم حكومة الدولة  
تعليماً خاصاً من دون العامة . وعلى المشرع أن ينظر إلى أية  
غاية تسير أمته . وأن يلائم بين هذه الغاية وغاية التعليم .  
فقوانين « ليكبيرج » ليست سوى دعائم لتعليم « امبارطة » التي  
لم يكن لها مآرب سوى المجد العسكري . فنظمت حياة الأفراد  
مذ كانوا أجنحة في بطون الأمهات . وتمهدت الزواج كما تنشىء  
للمدينة نسلاً قوياً . فإذا بلغ الطفل سبع سنين احتضنته الدولة  
ليعيش عيشة عسكرية . ولا تدع الفرد لأبويه وللمقادير تختار له  
ما تشاء من سبل الحياة . فالفرد للدولة والدولة تعلم الفرد  
ليحقق السياسة التي رمت إليها آمالها . ووجدت حكمة

الأثينيين كيف نهى للأفراد السعادة في التعليم دون أن يعوقها  
 ذلك عن إدراك غايتها من المجد . التعليم الأثيني لا إكراه ولا  
 غنت فيه . وإنما ينمو الفرد فينمو فيه عقله وحمه وجماله وقوته  
 وهو يغنى ويلعب . ولم يغن ويلعب هباء من غير قصد إنما  
 وضعت عند رلين الشعر ونشيد الأوتار ووضعت عند الصراع  
 والسباق غاية الفرد والمدينة معاً : وهي عظمة الفرد والمدينة  
 جميعاً . وفي سبيل هذا القصد سن « سولون » قانوناً يفرض على  
 الآباء أن يعلموا أطفالهم الموسيقى والألعاب الرياضية . وقد  
 نحسب أنهم رموا بهذا القانون إلى هدفين مستقلين يريدون  
 أن تنمي الرياضة الأجسام وأن تهذب الموسيقى الغرائز والأرواح .  
 ولكن أفلاطون يرى أن الرياضة والموسيقى قد فرضتا كلتاهما  
 لغرض واحد وهو تهذيب الروح . لأن الانصراف إلى الرياضة  
 البدنية وحدها ينتهي إلى قوة جامدة غتية فيمسي الإنسان  
 غشياً قد سدت عليه منافذ الإدراك الجميل . وحاسة الخيال  
 إذا أهملت عميت كما يقولون . وأما من ينصرف إلى الموسيقى وحدها  
 ويمعن في طلبها دون أن تنمو عاقبته وبأسه فيسئلب مرهف  
 الحس هزبلاً وتناهى عنه رجواته . وكلا الأمرين ضار بالمدينة  
 لأن كيان المدينة معمود بخلال أفرادها : فإن كانوا لا يستطيعون  
 شيئاً وراء البأس والشدة والبطش فستنهي القوة الغاشمة



العشواء إلى أن يرتطم بعضها في بعض وإلى أن تقضى أمور  
 المدينة بالعنف والحرب . وإن كان أفرادها شعراء مغنين فلاسفة  
 ليس بهم بأس فلا تغنى الموسيقى عنهم من السيادة شيئاً .  
 ورأى المشرع الأثيني أن يجمع في فرد واحد بين الشجاعة  
 والجمال وأن يجعل الأثيني جندياً قوياً وسياسياً حكماً معاً .  
 وهذا المزيج من القوة والحكمة إذا توفر لأمة ثم استطاعت أن  
 توفد في نفوس أبنائها جذوة حبها . فقد ضمنت هذه الأمة أن  
 تجد الجندي المستأسد الحامي إذا عدت عليها العوادي وضمنت  
 أن تجد السيامي الرشيد الحارس الأمين . وقد أتيح لأثينا أن  
 تنجب هؤلاء الرجال ... والمجد غذاء الفنون ... وهذا اللعب  
 جد غايته المجد ... وهذه الموسيقى جد غايتها المجد . فالأثيني حين  
 يلعب يبصر عند أقصى جهده صورة محبوبة من المجد ، فهناك  
 تتطوره صورة الرجل الجميل وصورة الجندي المتفرد وصورة  
 البطولة في الأولامب . وهذه الصور أنزلها الأثينيون منازل من  
 التكريم والتعجيل صرفت إليها قلوب الناشئين . والآلهة تحب  
 اللعب كما يقول « بندار » . وكانت بلاد الإغريق تنصب  
 التماثيل لأبطال الأولامب ويخلد الشعراء ذكرهم .

وما أمر الموسيقى في تعليمهم ؟ كانت غايتها أن تنمي في

نفوسهم حاسة الجمال وتحبب إليهم القيم الإنسانية العالية .  
 والمشرعون والمصلحون كانوا أحرص الناس على أن يسمع الطفل  
 الموسيقى التي تتعهد الكرامة الإنسانية . ويريد أفلاطون نغمتين  
 اثنتين : نغمة تعز الكريم إذا نزلت به الأيام وتمنعه من الخوان .  
 ونغمة ترد عنه الصلف والكبرياء إذا أقبلت عليه الأيام . وهو  
 ينفي بعد ذلك من جمهوريته موسيقى الخمر والشهوات وموسيقى  
 التوجع والأنين وكل ما قد يورث النفس السقوط . وليس عجيباً  
 بعد ذلك أن يحطم حاكم من « امبارطة » قيثارة زيدت أوتارها  
 خشية أن تغل بنغماتها أيمان الامبارطيين في الحرب . وليس  
 عجيباً بعدئذ أن يقول « دامون » معلم « بيريكليس » إن كل  
 تعبير في الموسيقى تغيير في قوانين المدينة لأن القوانين لا تستقر حتى  
 تستقر مبادئ المدينة وهذه المبادئ تتأثر بما يتعلم أفراد المدينة  
 في الخير وفي الشر . ومن أجل هذا يريد أفلاطون ألا يبنى  
 في مدينته فنان لا بصور الجمال والخير حتى لا يتعدى أثره إلى  
 نفوس الدين نصير إليهم سياسة الدولة . لأن القبح يسرى  
 بقدر خضيل إلى نفوس الناس من حيث لا يشعرون ثم يستفحل  
 مرة واحدة . كالذي يرعى كلاً وخجماً قد لا يشعر بما في كل  
 قضمة من أثر السم حتى إذا تجمع أثره أتى عليه مرة واحدة .  
 وأما صور الجمال والخير فهي أشبه بالنسيم إذا مر ببلد طيب



حمل في أعطافه الصحة . . . والنفس على ما ثبت عليه فإن أنست  
 القبح أنت القبح وهي لا تدري . وإن أنست الجمال أنت الخير  
 من حيث لا تدري .

كانت الموسيقى أدباً أريد لغاية سياسية وهي خلق من  
 تبنى عليهم سعادة المدينة . وقد نعجب أن يولى الأثينيون التعليم  
 أكبر ملكتهم وأن ييسروه فيكون أحلى من اللعب وأن يردوا  
 إليه ما ينسهم من حسنات وما يصيبهم من سيئات . فالمرشح  
 عندهم معلم والحاكم عندهم معلم والحكيم عندهم معلم وهم  
 جميعاً يرمون إلى خلق الفرد السياسي القوي الحكيم . وهذه  
 العقول عرفت أن تجعل التعليم نشيداً يثير الخلق من قوة النفس  
 ويبعث المطوى من صور الفضيلة وأن يسمو بالإنسان إلى أسمى  
 ما في الإنسان من معان . وكانت موسيقاهم بسيطة : « الناي »  
 و « القيثارة » . وكانت هذه الموسيقى تصحب الطفل وهو  
 يلعب وتصحب الصبي وهو ينشد الشعراء وتصحب الشاب  
 وهو يصارع ويسابق في ساحات الرياضة .

وبذلك اجتمع الشعر والموسيقى في تعلم الأثينيين . ولم  
 يمجّد الشعراء في تاريخ المدنيات مثلما مجّدوا في أثينا ، لأن  
 الشاعر فيهم ناصح يهدي إلى الرشده ، وهو مهبط الحكمة الإلهية

وهو الذي كشف الغطاء عن بصيرة الإنسان . ومما عنه حجب  
الجهل وعلمه الفنون وحجب إليه الفيد... ولا ريب أن الشاعر  
قد حمل أمانة التعليم في ألبينا كما يريد لها الأثينيون وهو أن  
يصير قومه أحسن حالا . ولم يجد الصبي أثراً للمجد أحب  
مما أنشده في شعر الخالدين . ولا يغني الصبية شعر الشعراء  
ابتغاء معرفة يحفظونها وكفى . وإنما كان من وراء هذا الشعر  
قصد سياسي وهو أن تبني أفئدة الناشئين على صور من  
الفعال والجد . لأن ما يحفظ الصبي من أتر جميل قد يصحبه  
فيما يلقى من الزمان وكم صعب الشعراء والحكماء نفوساً إذا  
لحن الرأى وكانوا كبارقة الرشاد . وكم عصم الشعراء قادة من  
الجزم وكم عصم الشعر نفوساً من الضيم . وقد أبقى شعراء اليونان  
آثاراً تحبب العدالة والحكمة . وخلدوا صور البطولة والجد .  
وفي سبيل هذه القيم العالية من الأثينيون قانوناً يفرض الشعر  
في التعليم . وكانوا يعرفون هذا الحميل الشعر فجمع سولون شعر  
« هوميير » في كتاب . وكان سولون نفسه شاعراً ومشرعاً معاً .  
وعرف الشعراء غايتهم في المدينة . ويقول « أريستوفان » على  
لسان الشاعر « إشبيل » : « إن على الشعراء أن يلقوا سناً على كل  
سوء فلا يذكرونه على المسارح ولا يذكرونه على حال . فكما  
يعلم المعلم الأطفال يعلم الشعراء الناشئين . ومن أجل هذا



لا ينبغي لنا أن نقول شيئا من دون الخير . وبهذه العقلية  
نفهم ما يقصده « بلوتارك » عن « السبياد » إذ دخل صبيا على  
معلم فسأله عن كتاب هوميرو فلم يجد هذا الكتاب لدى المعلم  
فصفعه وانصرف ! وبهذه العقلية نفهم ما يذهب إليه أفلاطون  
في جمهوريته : فهو يريد أن تراقب الدولة الشعراء فلا يسمح  
لشاعر أن يصور بطلا يبكي ويستحب كما تفعل الضعيفات  
من النساء . لأن المدينة بحاجة إلى رجال حكماء أغنياء بنفوسهم  
أقوياء بحكمهم يلقون نوازل الأيام ثم لا ينخلون كما ينخل  
العبيد والنساء . ولا يسمح للشاعر أن يصور الخوف من الموت .  
لأن المدينة بحاجة إلى رجال أقوياء يؤثرون الموت على الضيم  
ولا يسمح للشاعر أن يتغنى بكوروس الذهب والنقصة ومنعة  
البطون واللذات . لأن المدينة بحاجة إلى رجال يؤثرون القيم  
الإنسانية العالية على الغنى ويؤثرون الخلد على اللذات والهووى .  
والشعر والموسيقى قد سما بهما الأثينيون إلى منزلة لازمة لسياسة  
الدولة وسعادتها . وهي أن توجد في أفئدة الأثينيين حب الخيال  
والشجاعة والحكمة وسائر القيم الإنسانية الحميلة ونهى إليهم حكمة  
الآلهة وآمال الصالحين . وقد تراهم بلغوا هذه الغاية مرحلين  
فرحين في أحضان الطبيعة لم يلقوا الإكراه في شيء وإنما وجدوا  
الحب في كل شيء . فالزهر المتفتح تحت قطرات الندى وبهجة

الشمس والنجم الساسيل وصفاء السماء ووارف الظل لم تحرم  
من حضانتها الطفل الأثيني .

في أحضان الطبيعة التي استمتع بها الإغريق في كل شيء  
نمت أبدان أبطالهم طلقاء سعداء . وفي أحضان آفات الشعر  
والموسيقى نمت أفئدة الإغريق وآمالهم وقدرهم أن تشغف قلوبهم  
بعد هذا بما خلق عظمة أبطالهم وأن يشغفوا بما يهيء للإنسان  
أن تكبره المدينة . وأن يجد السبيل إلى المجد . والنتيجة المأمومة  
التي تفرضها طبيعة الأشياء أن يسير الأثينيون على السبيل التي  
سار عليها آباؤهم يريدون أن يعلموا سر عظمة الإنسان وأن  
يتجاوزوا هذه الصور الخالدة التي رسمها الشعراء في نفوسهم  
ووعنها صدورهم إلى كشف الغطاء عن هذه العظمة . وكان  
الشعراء قد أضاعوا أفئدة الناس بالخيال وكان ضياؤهم مبصراً لا  
يكاد يلقى على معنى إلا أضاعه ويمكن للأثينيين أن يحددوا  
بأنفسهم أمرار الأشياء . وكان العلم حينئذ أن يجد المرء بما أوتي  
من نور معاني الأشياء . وكانت سعادتهم أن يروا بنور  
عقلهم ما حملت عقولهم من صور القيم الإنسانية . العلم هو  
الفلسفة والفلسفة هي معرفة الفرد نفسه بنفسه ومعرفة سر مجد  
الإنسان . فتوليد المعاني الذي عرف به سقراط ونبوءة الآفة  
التي تعظ الأثيني أن يعرف نفسه بنفسه ليست إلا تطوراً طبيعياً



للتعليم الأثيني . ولم يفهم الأثيني التعليم على أنه حقيقة واقعة  
 يلقيها معلم متعلم كالممثل الذي يحفظ دوره ويلقيه على المتفرجين  
 وكفى . ولكن العلم أن يستنير العقل ويهتدى العقل بنوره إلى  
 ضمير الأشياء وليس في المعرفة ثمرة أشهى من الثمرة التي يجنيها  
 العقل بنفسه . وهذه الثمرات أوقدت أفئدة الأثينيين شغفاً  
 بالمعرفة ، والمعرفة من أجل ما خلق الله من شيء كما يقول أفلاطون .  
 وهذه المعرفة ستحوو فيهم نحواً أثينياً أي إلى حب الحكمة .  
 والحكمة في عقلهم جامعة للقيم الإنسانية التي تقوم عليها عظمة  
 المدينة وعظمة الفرد السيامي .

## منهج سقراط

ولم يفعل سقراط شيئاً إلا طاعة لضمير المدينة ، وكان دعاء  
أثينا حياً في ضمير سقراط فلم نطب له الحياة من دون هذا  
الواجب . وقد عصفت به هذه العاصفة من حب المدينة كأنها  
شيطان يصرفه كما يشاء . فانطلق في الأسواق يصور للناس  
ما ورثوا من صور الحكمة والعدالة والشجاعة والفتوة وتقوى الله ،  
وانطلق في الأسواق يستخرج ما في مبادئ السفسطائيين من  
كذب وانطلق في الأسواق يسخر من الدين بسوسون المدينة على  
مذهب السفسطائيين . وكان ضمير الأثينيين حينئذ يستقيظ في  
نفوس الصالحين بزجر كالذي يقوله « يوريبيد » إنه من العار  
أن نسكت ونندع الكلام للبربار . وكانت هذه الدعوة إلى  
مبادئ الخير والجمال قد أخذت على نفس سقراط كل سبيل  
فلم يستطع أن يدعها ويتبع سبيل من خلا من العلماء الذين قضوا  
أعمارهم في كشف أسرار الطبيعة والأفلاك . وذهب تلميذه  
« اكرينفون » إلى أن سقراط لم يقنع بأن ينصرف عن العلوم  
الطبيعية ولكنه رمى علماءها بالخيال ، لأن من المحانين طائفة تخاف



مما لا يثير الخوف . وطائفة لا تخاف مما يخيف . ومنهم فئة لا  
تستحي أن تقول وتفعل ما تشاء ، وفئة تعتزل الناس ولا تخالطهم .  
وفئة لا تقدر المعابد والصلوات . وفئة تعبد الأشجار والأحجار  
وما تلقى على السبيل من أنعام . وكذلك يفعل الدين ينصرفون إلى  
دراسة العلوم الطبيعية ، فمنهم فئة ترى الكون واحداً ، وفئة تراه  
أكواناً ، وفئة ترى الأشياء جامدة ساكنة ، وأخرى تجدوها في  
حركة دائمة . وفريق يذهب إلى أن الأشياء تولد وتنفى . وفريق  
يرى أنها لا تولد ولا تنفى .

ولولا أن ألفت أثينا إلى أبنائها الصالحين أملا كان أدنى إلى  
ضمايرهم من كل شيء لحسبنا سقراط ظالما للعلوم الطبيعية ،  
فإن هذه العلوم قد فازت من الزمان بنتائج لو رآها اليوم سقراط  
لمحا عن حياته هذا القول ، ولكن حياة المدينة وسلامة المدينة صرفنا  
جهود سقراط إلى البحث عن فضيلة الإنسان وغاية هذا البحث  
هي سعادة الفرد وسعادة المدينة .

وكانت فلسفة سقراط مزيجاً من الرياضة العقلية والموسيقى  
العقلية فلم يأت فتية أثينا بشيء لم يرثوه . كانوا قد ورثوا من  
الشعراء والزمان صوراً من القيم الإنسانية النبيلة وخلبت في خلاليها  
أرواحهم ساكنة مطوية قد بثرتها الزمان إذا مسحها الزمان . فجاء  
سقراط بعقل مثل يد المثال البارع وجمع في نفوس متاخرية

وسامعیه ما تشئت فیها من معانی الجمال وجعل یقیم هذه المعانی فی ضمائرهم شیئا فشیئا بذوق المثال وصبر الفنان . وليس عجیباً إذن أن یحفظ الأقدمون عن تلمیذہ أفلاطون هذه الكلمة : « لو خلقت الحکمة فتاة لأم بحبها الناس جميعاً » .

واتبع سقراط فی التعلیم منهجاً کمنهج الأثینیین فی الرياضة البدنیة کأن بناظر صاحبه کأنما یصارعه فی حوار ینبع المنطق الدقیق ولا یخید عنه . ویفرغ من نتیجة إلى نتیجة . کالمصارع القدير الذي ینتهی من نقطة إلى نقطة ویأخذ بتلایب من یحاوره ویزج به من جهل إلى جهل وخاصة إن کان من الذین کسبوا بین الناس سمعة جوفاء . وخاصة من کان منهم سفسطائیا أو تلمیذ سفسطائی . فلن ینجو من ید سقراط قبل أن یتصبب عرقه وقبل أن تسقط کبریأؤه ویراه السامعون جاهلاً مغروراً لا یدرك جهله . ولم یندع سقراط العلم فی شیء مثلاً ادعی الآخرون . وكان بعد ذلك یصارع الشبان فی ساحة الرياضة صراعاً بدنیاً ویتخذهم أصدقاء . فإذا حاورهم فی ما أراد أن یعلموا من القیم الحمیلة قاد الحوار بدقة ونصب لهم الفخاخ فی المنطق . ولم یکن بهؤلاء الفتية الناشئین من الغرور ما کان للمشهورین من رجال العلم والسیاسة . وكانوا إذا غلبوا فی حوارهم انقضوا علیه یعضونه ویجذبون شعره ویضربونه . ولم ینلغ أيام سقراط أن نجد العلم



الذى لا وطن له . وإنما للعلم وطن يفرض على العلماء أن يولوا آمالهم  
شطره وأن يجعلوا له ثمرات عقولهم . بل ألفت أثينا على بنيتها أن  
ينفقوا في سبيلها كل شئ . وكانوا أشد غيرة على مجد وطنهم منهم  
على مجد الآباء والأمهات . وأنفقوا جهودهم في سبيل المدينة .  
وانظر كيف يؤدي سقراط بعض هذه الأمانة :

سقراط : ماذا دبرت لنفسك ؟ أتريد أن تبقى كما أنت أم  
تريد أن تصرف عنايتك لشيء تبغيه ؟

السيبياد : هذه مسألة أشاورك فيها يا سقراط . ولقد تدبرت  
ما قلت ووجدت فيه مقنعاً . إن رجالنا السياسيين  
جاهلون إلا قليلاً .

سقراط : وما معنى ذلك ؟

السيبياد : لو أنهم كانوا عالمين لكان لزاماً على من ينازلهم أن  
يلقاهم بزاد من العلم وأن يعد لمصارعتهم ما استطاع  
من عدة . ولكنهم بأنون السياسة جاهلين ولا أرى  
ضرورة لزاد العلم وعنايته . وأنا أعلم منهم وقد آتتني  
الطبيعة ما لم تؤتهم من المفضل .

سقراط : يا إلهي ! ماذا تقول يا عزيزي ؟ إنه لا يليق بك  
ولا بخالك هذا القول .

السيبياد : ماذا حدث يا سقراط وعلام تلومني ؟

سقراط : إنني أخشى لك ولحيي .

السيبياد : ولماذا ؟

سقراط : لأنك ترى أن عليك أن تنازل رجالا من بيننا .

السيبياد : فمن على إذن أن أنازل ؟

سقراط : وهل هذا سؤال جدير برجل يؤمن بنبيله وكبريائه ؟

السيبياد : ماذا تقول ؟ أو ليس لي أن أنازل هؤلاء ؟

سقراط : أرايت لو أنك توليت قيادة سفينة قادمة على قتال

فهل تقنع بأن تكون أقدر بحارنها وكفى . أم عليك

أن تنظر إلى أبعد من ذلك وأن ترمي بنظرك إلى

أعدائك الحق الذين ينبغي أن تيزهم ؟ أما أن

تتفوق على أنصارك فهو أمر لازم لعله واحدة وهو

أن بطعيرك ولا يهملوا بعصيانك . وهم إن آنسوا منك

تفوقاً أطاعوك في قتال أعدائك كلما أقبلت على أمر

جميل جدير بك وبالمدينة .

السيبياد : هذا هو رأي

سقراط : وهل يحذر بك أن تقنع بأن تكون خير جنودك

دون أن تضع أمام عيتيك قادة أعدائك ودون أن

تطمع في أن تيزهم فأولئك هم غاية جهلك ولشغالك ؟

السيبياد : ومن تريد هؤلاء الأعداء يا سقراط ؟



سقراط : أليس تعلم أن مدينتنا في حرب لا تنقطع مع  
الإسبرطيين ومع ملك الفرس ؟

السيبياد : هذا حق .

سقراط : فإن كنت قد ألفت في أملك أن تسير أمور  
مدينتنا يوما ما فاعلم علم اليقين أن عليك أن تنازل  
ملوك الإسبرطيين وملوك الفرس .

السيبياد : إني أراك تقول الحق .

سقراط : ولا ينبغي لك يا صديقي أن تقيس همتك وأملك  
بهمة « ميديا » مربي الديوك ومن شابهه من الذين  
يقبلون على سياسة المدينة وما تزال بهم مسحة من  
العبودية كما يقول النساء . فهم لم يهابوا ولم يخلصوا  
من ضعة أصولهم وما تزال بهم عجمة البربار وقد  
جاءوا يتملقون المدينة ولا يسوسونها ، ولا ينبغي لك  
أن تجعل قبلتك هؤلاء الذين ذكرت دون أن تعني  
بنفسك ودون أن تعلم ما يجب أن تعلم .

السيبياد : إنه يبدو لي يا سقراط أنك على حق فيما تقول لكنني  
أعتقد أن قادة اسبارطة وملوك الفرس لا يختلفون  
شيئا عن الآخرين .

سقراط : لكن تدبر ما تقول يا عزيزي .

السيياد : فم أندبر ؟  
 سقراط : ألت تعلم أن المصارع يتأهب لمصارعة الخصم  
 الشديد الخوف أهبة قوية ويعنى بنفسه عناية فوق  
 عنايته لو أن عليه أن يصارع خصما ضعيفاً  
 هز يلا ؟

السيياد : لا شك أنه يأخذ للخصم الخطير أهبة أعلى وأكبر .  
 سقراط : وما ضررك لو عنيت بنفسك عناية كبرى .  
 السبياد : ليس في هذا ضرر ولكن فيه الخير كل الخير .  
 سقراط : ولكن رأيتك صار فاسد إذا تأملت ظاهر الأشياء .  
 إن من نعاذى من الملوك ليسوا أدنى أصولاً منا .  
 وإذا اجتمع النبل الأصيل والتهذيب أنى ذلك بشمر  
 جميل فاحذر أن تكون دون هؤلاء نسباً وحسباً  
 وتعلماً فإن ملوك الإسبارطيين لا يخطئ نسبهم بدم  
 ليس من دم الملوك من أهل هيراقليدس . وأما  
 ملوك الفرس فلأنهم أشد غيرة على أصولهم وأنسابهم .  
 ولا يخامر الشك أحداً أن الملك جاء من دم الملوك .  
 ويوم يولد من قد يؤول إليه الحكم يجعلون ذلك  
 اليوم عيداً في بلاد الفرس وفي آسيا جميعاً . أما نحن  
 يا لسيياد فنولد ولا يكاد يشعر بنا الجيران كما



يقول الشاعر الهزلي . ثم يلقي الطفل بين يدي مربية  
ما هينة القدر . وإنما يربي ملوك الفرس خير من  
في المملكة من خصيان وعليهم أن يعنوا بالمولود في  
كل شيء ليجعلوه أجهل ما يكون ويعدلوا أعضائه  
ويقوموها . وهم من أجل ذلك في منزلة عالية من  
الاحترام . فإذا بلغ الطفل سبع سنين تعلم  
الفرسية والصيد . فإذا بلغ أربعة عشر عاماً  
تعلمه من يسمونهم معلمى الملوك . وهم أربعة  
يختارونهم من أفضل شيوخ الفرس . فيختارون أعلم  
الناس وأحكم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس .  
فأما أعلم الفرس فيعلمه دين « زرادشت » أى  
يعلمه تقوى الآلهة ويعلمه أصول الحكم . وأما  
أعدل الفرس فيعلمه أن يقول الصدق . وأما أحكم  
الفرس فيعلمه أن يحكم شهواته أولاً ولا يكون عبداً  
لخواه . وأما أشجع الفرس فيعلمه ألا يخاف مطلقاً  
ولا يخشى شيئاً أبشع . ويعلمه أن الخوف يورث الذل .  
أما أنت فقد ألقاك بيريكليس بين يدي معلم  
عجوز من العبيد . وأستطيع أن أقص عليك  
حديثاً آخر من آداب منافسيك وتربيتهم لولا

أنه حديث بطول . وأما مولدك ونعليمك أنت ومن  
 شئت من الأثنيين فلا يحفل بهما أحد إلا أن  
 يشاء الله فيقدر لك حبيباً بعصمك . وأما إن أحببت  
 أن تولى بصرك إلى الثراء والجناد والترف والثياب  
 والعطور والرياحين والخدم والتبع وسائر ألوان رفاهية  
 الفرس فستنحى حين تعلم أنك لست من كل  
 هذا على شيء . وأما إن أحببت أن تتأمل حكمة  
 الإسبارطين واعتداهم وكبرياءهم وسداد أيديهم  
 وشجاعتهم واحتمالهم للأعباء وشغفهم بالجهد والصبر  
 والمجد فسترى نفسك طفلاً في جميع هذه الحلال .  
 فإن استمسكت بالمال وبدأ لك أنك على شيء في  
 هذا الأمر فلا تنقم علينا . إن علمت أنك لست  
 من هذا على شيء . فإنك إن أحببت أن تبصر  
 ثراء إسبارطة فتعلم أن ثراءهم قد جاوز ثروتنا  
 كثيراً . فليس فينا رجل يملك أرضاً تنافس أرضهم  
 التي يملكون في بلادهم وفي مسينا سعة وخصباً .  
 وليس فينا من يضاهيهم فيما يملكون من عبيد وخيل  
 وأنعام . ولندع هذه الثروة جانباً فأما الذهب  
 والفضة فليس في بلاد الإغريق جميعاً ما يملكه رجل



تخزده في اسباطة ، وترى الذهب والفضة يهاجران  
منذ أجيال عديدة من جميع بلاد الإغريق والبربار  
إلى اسباطة ولا يبرح الذهب والفضة أرضهم أبداً .  
فترى المال يقدم على اسباطة ولا يبرح أرضها .  
ومن أجل ذلك ترى أغنياء اسباطة أغني من  
الإغريق في الذهب والفضة وترى ملكهم أغنيهم  
جميعاً . لأن الملوك يفوزون من هذه الأموال بنصيب  
وفير وتجنى لهم ضرائب كثيرة من أموال الاسباطيين  
أنفسهم وثراء الاسباطيين كبير إذا قورن براء  
الإغريق وثراء الإغريق لا يكاد يكون شيئاً  
مذكوراً بجانب ثراء الفرس وثراء ملوكهم . فقد  
حدثني رجل أهل بالثقة من الذين زاروا مملكة  
الفرس أنه سار يوماً كاملاً تقريباً في أرض خصبة  
جيدة واسعة . وهذه الأرض يسميها سكانها  
« حزام الملكة » . وقال إن هناك أرضاً أخرى  
تدعى « برقع الملكة » . إن هناك فوق ذلك مناطق  
أخرى كثيرة جيدة خصبة وقفت على زينة الملكة  
وسميت كل أرض باسم جزء من أجزاء زينتها .  
فهي أن أجداً من الناس خبر امرأة كسرى وأم

الملك أن السبياد بن دينوماخيس يريد أن يحارب  
 ابنها وخبرها أن دينوماخيس امرأة من أثينا لا تملك  
 إلا خمسين « مينا » من الزينة وأن ابنها لا يملك  
 إلا أرضاً لا تبلغ مساحتها إلا ثلثمائة « بسري »  
 فستعجب كيف يتجاسر السبياد على أن ينوي  
 محاربة كسرى ، وأظنها لا تجد لك سيلاً إلا بالدرس  
 والعلم وهما وحدهما السيلان الحديران بالذكر في  
 بلاد الإغريق . فإن علمت أن السبياد شرع في  
 هذا الأمر ولما يبلغ العشرين عاماً وهو جاهل جهلاً  
 تاماً ويعصى محبة حين ينصحه أن يتزود بزاد من  
 العلم والدرس والمران ، ويرى نفسه أهلاً للترال كما  
 هو من دون حاجة لمزيد . ولا شك أنها ستعجب  
 وتتساءل ماذا رمى هذا الفتي بهذه الجسارة . فإن  
 علمت أنك لا تعتمد إلا على جمالك وطول قامتك  
 ومتبتك وثرالك وذكائك الذي فطرت عليه فسر مينا  
 بالخيال والجنون يا السبياد . لأنها ترى لديها كثيراً  
 من هذه الميزات جميعاً . وكذلك تفعل ملكة  
 اسبارطة إذا رأتك تقدم على أمر لا تأخذ له أهية .  
 أولاً يخزيك أن ترى نساء أعدائنا علامات بما ينبغي



لنا أن نأخذ به أنفسنا في بلدنا وأثنا لا نعلم ما ينبغي  
 لأنفسنا من العلم والمعرفة ؟ فأطعني يا صديقي وأطع  
 ما كتب لي . دلف . اعرف نفسك بنفسك .  
 واعلم علم اليقين أن من ذكرت لك من الملوك هم  
 منافسوك . ولا تحسب من ذكرت لي من قومنا  
 منافسين . وإن نفوت هؤلاء الملوك إلا بالدرس والعلم  
 والفن فإن ضيعتها فلن يكون لك ذكر عند اليونان  
 ولا عند البربار ولا ريب أن حبك للشهرة يفوق  
 كل حب .

ونعلم بعد ذلك أن العلم والفنون كانا عدة أثينا على أعدائها ،  
 وأن غاية التعليم كانت حاجة لازمة لقوة المدينة وسعادتها . وكانت  
 آمال الفلاسفة أن يتعهدوا الخير والجمال في أفئدة الطامحين وأن  
 يهبوا للمدينة رجالا أقوياء . وكانت الغاية التي نحت إليها أثينا  
 في علمها هي إدراك الجمال . وكان الجمال سر ما آمن به  
 الأثينيون من معالي الخلود فقد آمنوا أن الخلود معقود بالمجد .  
 والمجد معقود بما أبدع الإنسان من أثر . والآثار الخالدة لا تولد  
 في عقيدتهم إلا في الجمال . فالإنسان قد يخلد بعقبه من بنيه  
 الذين يبقون ذكره من بعده وعقبه من فعاله التي تحييها على

الزمان . وأولو الضعفاء وانحد نبالون أبدأ فى أفئدة الرجال كما  
يقول « نوسيديد » . وإذا قدر للناس أن تسمو بهم أشغالهم إلى  
آفاق الجمال فلا راد لهم عن الخير « ستعلم علم اليقين صدق ما  
نبأتك به يا سقراط إذا ألقيت بصرك على شغف الرجال بالجد »  
وستعجب من شططهم إذا لم تتدبر قولى . وسرى الناس يركبون  
لعجب من الأهوال والمكاره فى سبيل ما يبق ذكرهم من بعدهم  
ويعقبهم مجدا لا يفتيه الزمان . وهل ترى إليهم إذ ينفقون فى  
سبيل هذا الحب ما لا ينفقون فى سبيل أبنائهم . وإذا يركبون  
الصعاب جميعا وإذا ينفقون أموالهم ويحتملون العناء ويفقدون الجهد  
بأرواحهم . « وقد هدت الأتنيين سجية الجمال أن يعلموا أن  
العقول الخالقة لا تؤنى ثمرها إلا فى عالم من الجمال : لأن العقول  
للد فكرة والحكمة وسائر القيم الإنسانية النبيلة : والشعراء والمبدعون  
من الخالقين فى الفن آباء لما أنجبت عقولهم . وأسمى ما خلقت  
الأذهان من شئ هو ما نسميه « الحكم الرشيد » « والعدالة » .  
والخالدون الخالقون لا ينسلون ما حملت عقولهم إلا فى الجمال .  
فإذا اقترب الإنتاج ترى أفئدتهم تهوى إلى الجمال ويشتهونه  
عن شمال ويمين . حتى إذا قدر لهم أن يلقوا نفساً ذكية نبيلة  
استهوتهم ضعفين . وهاجت الحنى من الفكر . وأثارت المطوى  
من القول . واسترسلت ألسنتهم بذكر النبل والقيم الإنسانية



السامية وما ينبغي أن يتحلى به الرجل الشريف ، وانقلب الإنسان  
يومئذ مؤدباً ومهذباً : بين يدي الجمال ينجب المنجبون آثارهم  
وبين يدي الجمال يتعهد المنجبون ما خلقوا . وبين الجمال وبين  
المنجبين قرابة ومودة لأنهم شركاء في خلق أثر جميل لا يفنى .  
وهذه الآثار الجميلة أشد قرباً إلى الناس من أبنائهم . ومن يبصر  
آثار هوميرو وهزويود وسائر الشعراء المحسنين يحسدكم على ما خلقوا  
من آثار أبقت ذكركم في الخالدين . وإن أحببت فانظر ما أنجب  
« ليكورج » للاسبارطيين . ألم يعقب نظاماً حافظاً للاسبارطيين  
والليونان جميعاً ؟ أليس تمجدون بينكم « سولون » بما شرع لكم من  
شرع . وترى الناس ينصبون الصلوات والمعابد لما خلده الخالدون  
من آيات العقول ولن يخلد اليوناني إلا أن يبدع في الجمال أثراً  
لا يفنى . ويسر لذوى الأقدار أن يبدعوا آيات من المجد جميلة  
مثل آيات الفنون . وآمنوا بعدئذ بخلود الذين يعملون الصالحات .  
وكان اليونانيون ينتفون الجمال لغاية سياسية ، وحرصوا على أن  
ينفض الناشئون فلا تنسى أفتدنتهم إلا بغذاء صادق من معاني  
الإنسانية الكاملة كما تترع هذه الأفتدة إلى الجمال وحده .  
ورأيانهم يسرون المرء إلى الجمال منذ الصبا ويحببون إليه كل جميل  
في الحسن وفي المعنى . ومن يجد سبيلاً إلى أن يبصر أفتدة الناس  
بالجمال فقد قضى أن تكون الكرامة إيماناً بين الناس ، وقضى

ألا نكون للناس شيم من دون الكمال والنبيل . وعرف الأئسيون  
 الأمد الذي تنهى إليه صورة الجمال المطلق . من هدى الناشئين  
 رفا إلى آفاق الحب . وبصرهم آيات الجمال الواحدة تلو الأخرى .  
 والبع طريقاً قويماً رأى عند محط الرجال جمالا ما أعجب خلقه .  
 وفي سبيل ذلك الجمال المطلق هان ما يلقى الإنسان من بلاء لأنه  
 جمال أبدي لا يزول ، لا مولد ولا نهاية له ، ولا يأتيه زيادة ولا  
 نقص ، وما هو بجميل في موضع وقبيح في موضع ، ولا هو جميل  
 عند قوم وقبيح عند الآخرين . ولا يحسم ذلك الجمال بوجه ولا  
 يبد ولا بهينة ولا هو كائن في شيء سواه كالأرض والسماء ، ولكنه  
 كائن بنفسه وفي نفسه وهو نبع تستمد منه صور الجمال الأخرى .  
 والفرق بينه وبين آيات الجمال الأخرى أنها تخلق وتموت أما الجمال  
 المطلق فلا يأتيه النقص والزيادة في شيء ولا يمتد القناء في شيء .  
 ولم يفتن الأئسيون بأن يحرصوا على آيات الجمال فيما أبدعت  
 عقولهم وفنونهم ، فالفضيلة لا تكون فضيلة حتى يأتيها المرء طائعا  
 لداعي الجمال ، ومن أجل ذلك اقترنت فضيلتهم بالجمال في كل  
 شيء وسميت التفضيلة بالجمال والخير معا و كان ذلك غاية تعليمهم  
 وتعليم سقراط كما رأينا .



## سقراط والسفسطائيون

قال أحد محدثي سقراط إنني حينما أصفى إلى رجل يجادل في القيم الإنسانية الممتازة أو في الحكمة بوجه عام وكان المتحدث رجلاً حقاً أراي فوق ما يتصوره العقل من المتاع والطرب . لأني أشهد وثاماً وانسجاماً بين القول وقائله . وهذا الرجل عندي هو الموسيقى الحق الذي أبدع أجمل الألحان . ولم يبدعه في قيثارة ولا في آلة من آلات اللعب وإنما أبدعه في مذهبه الحق في الحياة ...

وأبدو حين أسمع صديقاً للكلام وأقبل منه ما يقول . أما من يفعل ذلك غير فإنه يشق على وكلاماً بدأ محسناً للقول كان أشد إيلا ما لنفسه وأبدو لمن يراي كأنني عدو للكلام . وذلك بأن تجار الكلام « أي السفسطائيين » كانوا عند أولى البصائر من الأثينيين أسوأ معلم قد قدموا على أثينا يعلمون ما يريد الأثينيون أن يتعلموه . وسلكوا في ذلك طريقاً غير التي رسمها الأثينيون الأولون لأبنائهم . لأن المشرعين والمصلحين والشعراء والحكماء من أثينا سنوا سننهم في التعليم لتخلق القيم الحقة التي تتركز عليها

سيادة المدينة ، وأمست حاجة الناشئين لمعرفة هذه القيم عطشاً شديداً . وأوقد الشعراء هذا التعطش للمجد فأقبل السفطائيون يبيعون في الأثينيين علم الكلام وكان قولهم خلافاً جميلاً يصور الحق باطلاً والباطل حقاً . وعلموا ظاهر القيم العالية دون أن يكونوا مثلاً جذيراً بما يقولون . ولم يكن لهم سبيل سوى الربح من تجارة الكلام .

ورأى الشيوخ الأثينيون الذين ورثوا في دماغهم وعقولهم حكمة الأقدمين ما قد يجره علم السفطائيين من فساد في إيمان أبنائهم بالمجد رغم النجاح البارق الزائف . . . . . وسرى كيف يقف سقراط للسفطائيين بالمرصاد كالكلب الأمين الذي يرد عن حظيرته ، وقف لهم عدواً ظاهراً وباطناً لأنه يريد أثينيين مؤمنين بالقيم الثالدة والمجد كما آمن بها أبطال « ماراتون » . ويريد أمة تؤمن حقاً ولا تؤمن ظاهراً . وسرى أن رسالته لم تكن شيئاً غير أن يلج بنور العقل في نفوس الأثينيين إلى ما في نفوس الأثينيين من معاني القيم الإنسانية العالية ، وكانت غايته كما رأينا أن يهيئ لأثينا رجالاً صالحين وانظر بعض حديثه :

سقراط : هذا الضيف الغريب « يا انيتوس » حدثني منذ حين أنه يشتهي أن يتعلم الحكمة وأن يتعلم هذه الفضيلة التي تقدر للناس أن يحسنوا سياسة ديارهم



وأوطانهم وأن يرفعوا ذكرى آبائهم وأن يعلموا كيف  
يلقون ويودعون قومهم وضيوفهم كما ينبغي أن  
يفعل كل رجل شريف . فانظر أي معلم ترى أن  
نرسل إليه هذا الغريب ليأخذ عنه هذه الفضيلة .  
أو لا ترى أننا ينبغي أن نرسله للذين يدعون تعليم  
الفضيلة ويبيعون علمهم بضاعة لمن أراد أن يتعلمها  
لقاء أجر معلوم ؟

انيتوس : ومن هؤلاء الذين تعني يا سقراط ؟

سقراط : إنك أنت تعرف هؤلاء الذين يسمونهم السفطائيين .

انيتوس : تجنب هذا القول بحق هيراقليس يا سقراط وادع

الله أن لا يمس الخبال أحداً من عشيرتي وأهلي

وأصدقائي . المواطنين منهم والغرباء . فليكن به

بين أيدي هؤلاء المفسدين فإنهم وباء وفساد لمن

يجاورهم .

سقراط : ماذا تقول يا انيتوس ؟ وهل خالف السفطائيون

سائر الذين يدعون إصلاح ما يسألم الناس

إصلاحه فلا يصلحون ما يلقي إليهم كما يفعل

غيرهم وإنما يردونه أشد فساداً من ذي قبل وهم بعد

هذا يسألون أجراً على هذا الفساد . إلى لا أكاد

أصدق ما نقول . إلى أعرف رجلاً واحداً منهم  
 « بروناجوراس » جمع وحده من هذه المعروفة ثروة  
 لم يجمعها « فيدياس » الذي أبدع أجمل التماثيل .  
 بل لم يجمعها فيدياس وعشرة مثاليين معه ! إنك  
 تحدثنا عجباً يا انيتوس ! رأيت لو أن إسكافياً  
 يصلح النعال البالية ورائقاً يرقع الثياب القديمة ردا  
 النعال والثياب أفسد حالاً مما أخذها كانت  
 عاقبتها أن يهلكا جوعاً . ولا يستطيعان أن يخفيا  
 فعلهما على الناس ثلاثين يوماً . على حين يتخفى  
 « بروناجوراس » على كافة الإغريق أنه يرد  
 نلاميده أسوأ مما أخذهم ويتخفى ذلك على الناس  
 أربعين عاماً .

ولم يكن هؤلاء السفسطاثيون أثينيين ولكنهم وجدوا في أثينا  
 مقام كثيرة . لأن الشباب الأثيني الذي يشهد بلاغة الخطباء  
 في « الاجورا » وما تهيج الخطابة للخطباء من مجد ومنازل في  
 المدينة تاق إلى هذا المجد وبهرته فصاحة هؤلاء المعلمين . وقد  
 نرى فلاحاً أثينياً قدم بابته يسعى إلى المدينة لأنه لم يستطع أن  
 يكسح جماع ابنه بعد ما سمع من رفاقه ما أصابوا من علم ومناخ في  
 سماع السفسطاثيين وأكره أباه على أن يقدم به إلى المدينة ليتركه من



العلم ما أدرك الآخرون. وقد صور أفلاطون صورة جميلة لظماً فنية  
 أثينا إلى المعرفة. ونجاح السفسطائيين في المدينة. وهذه الصورة  
 تعني إشفاق الأثينيين على أبناءهم ومدينتهم من هؤلاء المعلمين.  
 قال سقراط: قدم على داري « هيقراط » عند الفجر الأول  
 وقرع علينا الباب بعصاه قرعاً شديداً حتى فتح له الباب.  
 فانطلق من فوره إلى داخل الدار ونادى بصوت عال: يا سقراط  
 أنت راقد أم صاح؟ فعرفت صوته وقلت له: ما بك يا هيقراط  
 أجتني نبأ سي؟ قال: لا ولكن جئتك نبأ سعيد. فقلت:  
 وما أقدمك علينا في هذه الساعة من الليل؟ فقال: جاء  
 بروتاجوراس أثينا. فقلت إنه قدم منذ يومين. وهل عرفت ذلك  
 الآن؟ فقال بحق الآلة إنني لم أعرف ذلك قبل عشاء أمس.  
 ثم تحسس طريقه في الظلام إلى سريري الصغير وجلس عند  
 قدمي وقال: إنني لم أكد أفرغ من العشاء حتى دخل على أخي  
 ونبأني أن بروتاجوراس بالمدينة. وقد هممت بأن آتي إليك لولا  
 الليل. ولما أكد أطرح عن نفسي تعب النهار حتى هبت من  
 من رقادي إليك. فقلت: وما عليك من هذا؟ وهل تشكو من  
 بروتاجوراس شيئاً؟ فقال: لا ولكنه استأثر وحده بالعلم لا يريد  
 أن يعلمني إياه. فقلت: بحق « زيوس » آتاه مالا وأقنعه يرددك  
 عالماً. فقال: لو لم يكن غير ما تقول فلن أبخل بمالي ومال

أصدقائي عليه وإنما جئت لك لتخاطبه في أمري فما زلت صيبا  
ولم أره قط وكنت طفلا حينما قدم المدينة أول مرة وأرى  
الناس جميعا يشنون عليه ويرونه أعلم الناس بالكلام... وما يمنعك  
أن تدركه قبل أن يبرح الدار فهو ضيف « كاللبوس » ؟  
فقلت : لا يا صديقي لم يتجمل غيش الصبح من بعد فدعنا نروح  
ونغدوا في ساحة الدار حتى يتجلى الصبح وما أحسبه يبرح الدار  
مبكرا .. وانطلقا يتحدثان وسط الدار يريد سقراط أن يحتج  
ما قدم عليه صاحبه . فلو أن رجلا أخذ العلم عن طبيب لكان  
طيبيا أو عن مثال لكان مثالا فما تريد أن تكون بما تعلم عن  
بروتاجوراس ؟ فاحمر هيقراط خجلا وبدت حمرة على ضوئ  
الصبح الذي أخذ ينبلج . وقال : أكون سفسطائيا . فقال سقراط :  
ألا يخزبك أن تعلمك الناس سفسطائيا ؟ وما يعلم السفسطائي ؟  
فقال : يعلم صناعة الكلام . فقلت : لو أنك سألت موسيقيا أن  
يعلمك صناعة الكلام لعلمك صناعة الكلام فيما يعلم أي في  
الموسيقى . فعمّ بعلمك السفسطائي الكلام ؟ فلم يخر هيقراط  
جواباً .

والسفسطائي ليس إلا تاجرا في رأي سقراط يروج تجارته  
ويتنقل بها في البلاد . وهذه التجارة خطيرة لأنها غذاء الروح  
والروح سعيدة أو شقية مريضة أو صحيحة بما تحمل من معرفة .



ولا ينبغي لرجل أن يقبل على معلم لا يعرف ما يعلم ولا يدري  
 أيكون سعيداً بهذا العلم أم يكون به شقيماً . ثم يريد بعد ذلك أن  
 يؤتبه ماله ومال أصدقائه . ثم قدم سقراط وصاحبه على دار  
 « كالليوس » فظنهما البواب من السفطائيين وكان قد ضاق  
 ذرعاً بأفواجهم . قال سقراط : فلما قرعنا الباب صاح من وراء  
 الباب : « سفطائيون أيضاً ! ليس لدى سيدي فراغ من الوقت »  
 وأوصد الباب بيديه . ورغم كره سقراط ومن شابهه من الأثينيين  
 هؤلاء المعلمين فقد فاز السفطائيون بطائفة من أبناء أثينا الأغنياء  
 ونراهم أحاطوا ببروتاجوراس ذات اليمين وذات الشمال ومن وراءهم  
 آخرون تبعوا المعلم قد أغراهم بسحر صوته . ونرى بروتاجوراس  
 يتحدث غادياً ورائحاً حتى إذا هم أن يدور انخرج التابعون شقين  
 عن يمين وعن شمال كي لا يعترضوه فإذا مر التأموا وتبعوه يسمعون .  
 إنا نريد أن نتخذ من بعض هذه الصور برهاناً على أن التعليم  
 الأثيني قد شغف الأثينيين حباً بالمعرفة . وقد كسب السفطائيون  
 من أثر هذا الحب مالا كثيراً وكان علمهم ضاراً بالمدينة التي أسست  
 على قيم أبنائها وما خلوا من فضائل . وقد خلق السفطائيون  
 السياسي الذي يؤثر منفعته الخاصة على الصالح العام . والسياسي  
 الذي لا يتخذ من الفضائل السياسية إلا ظاهراً يلبسه ليزين  
 للمدينة ما يريد . وإيهم خلقوا خطابة لا تقوم على الفضيلة .

## سقراط وخطابة السفسطائيين

وكانت الخطابة سيدة الأمر في الجمهوريات القديمة : فقد كان كل شيء في أيدي الشعب و كان الشعب في أيدي الخطباء كما يقول « فيثيلون » . ولم يكن هؤلاء الفتية من أبناء أثينا بد من أن يأخذوا بأسباب هذا الفن ليبلغوا ما رغبهم في العجد وفي سياسة المدينة . وإنما يبلغ الخطيب فيهم قيادة المدينة ويحصى بالخطابة نفسه وأصدقائه من بغى الظالمين وتكون له الصدارة في كل شيء . وكانت منابر الخطابة قائمة في المجمع السياسية وإذا نودي في الاثنينين إلى أمر جامع جاءوا مجامعهم ومد من حولهم جبل أحمر لا يحل لأجنبي أن يتعداه ، واستخاروا الآلهة فيما يريدون ، ثم ابتهلوا فجعلوا لعنة الله على من يشير عليهم بلاثم . ثم يقف مناديهم فينادي أكبر الحاضرين سناً ليدلي برأيه ثم يتعاقب ذوو الأعمار ليحصل الرأي حكمة الزمان وخبرة الشيوخ ولبيجنب الرأي غائلة الأهواء . ثم يأتي بعد هؤلاء من شاء من الحاضرين . وهذه السنة عصمت أثينا من هوى الرأي أيام كان خطباؤها حكماء صالحين وأثمرت في الخطابة آيات بينات ... وما كانت أثينا لتتفنع



من خطبائها بشيء من دون البلاغة التامة الجميلة الرشيدة وقد  
 ألفت أكمل الشعر وأجمل الصور وأدركت ضمير الجمال في كل  
 شيء . وقد رأيناها في أيام سقراط تنقض اليوم ما أبرمت بالأمس ،  
 وربما من أحبها من بنينا بالتردد في الرأي ، ولكن أثينا لم تستطع  
 أن تدفع سحر هؤلاء الخطباء الذين أقنعوها بالأمس برأى وحملوها  
 بالغداة على رأى ، وصارت الخطابة قوة للخير في أيدي الخيرين  
 وصارت أداة دمار في أيدي المفسدين . وقد حرص المصلحون في  
 أثينا وربما بأن لا يلقى سلاح الخطابة لغير الخيرين . وقد حفظ  
 التاريخ عن « كاتون » الكبير في روما تعريفا يعرف به الخطيب  
 وهو أن الخطيب هو الرجل الشريف الذي يحسن الكلام «  
 (Bonus vir peritus dicendi) . ومعنى ذلك أن الجانب  
 الخلقى في الخطيب كان أكبر أثراً في أنفس هؤلاء  
 المصلحين من جانب الفصاحة ، فإن غلبت على الخطيب  
 الفصاحة وانهارت في نفسه الفضيلة كان شراً مستطيراً على أمته .  
 وقد صور ذلك الأثر شاعر قديم في روما ، فقد مثل شخص في  
 روايته : كيف ضيعتم هذا الملك الكبير ؟ فأجاب : لأن الله ابتلانا  
 بخطباء جاهلين وغافلين . وإذا لم نعصم الخطيب حكمة وفضيلة  
 نهان بالحق وجعل منفعة الخاصة فوق منفعة بلاده ونصب نفسه  
 حرباً على معارضيه وانصرف أبناء الأمة عن الرأى المسير للخير

إلى تطاحن على منافع الدنيا . وحينئذ لا تجد من فصاحة  
الخطيب بصيرة الربان الخريص على مصلحة السفينة ولا تسمع  
إلا رجالا يتهمون ويتهمون . وتهيج الخطابة أحقادهم وتشتت  
الأحقاد ألبابهم وتعميهم آلام الخصام عن سبل الخير وتتردى  
سفينتهم في صخر مهلك وهم لا يشعرون .

وقد شهد سقراط في « الأجورا » سياسيين يقولون بأفواههم  
ما ليس في قلوبهم . وينشبهون بعد ذلك بالصالحين ويخدعون  
الامة بالأمانى ويكثرون عند الطمع ويقولون عند الفزع . ورأى  
سقراط وبال أمرهم على المدينة وقد نراه يكره هذه الخطابة  
السياسية كرها وينفر منها نفورا ولا يتشبه بها في حديثه الخاص  
والعام ويريد أن يعصم من آثارها الأثينيين . فقد هاله ما رأى  
من شغف الأثينيين بالخطابة رغم ضلالتهم وأقبل على  
الأثينيين أجانب يعلمونهم كيف ينصرون الرأي وتقبضه .  
ويعلمونهم أن الحق ليس إلا فكرة نسبية عند كل فرد .  
ويعلمونهم « النجاح » في حياتهم الخاصة والعامة من كل سبيل .  
وكان أعلى هؤلاء المعلمين كعباً « بروتاجوراس » و « جورجياس »  
و « هيبياس » و كانوا يقدون على أثينا في سفارات سياسية .  
فيأتيهم أفواج من أبناء أثينا ليأخذوا عنهم فنونهم ولا يعفيهم سقراط



من سخريته بين آيات الإكبار التي يشملهم بها فتیان الأثنين  
ولا يدعمهم حتى يقوض أقدارهم في نفوس السامعين ويعرّي  
عن عجز هؤلاء المعلمين عن تعلم الفضيلة وينكر على بعضهم  
كل قدر لهذا الفن الذي يعتز به وينكر به على سائر الناس .  
فإن جورجياس يباهي في أثينا بفن الخطابة الذي يفوق كل فن  
ويقدر لصاحبه المجد والسعادة ... وقد يباهي علم الصحة بأن  
يوفر للناس سعادة الصحة وعلم الرياضة البدنية بأن يوفر للناس  
القوة والجمال . ولكن الخطيب يستطيع أن يسير هؤلاء جميعاً إلى  
ما يريد . ولم يفتأ جورجياس هو وسائر الأثنين إلا أن يسمعو  
سقراط يجهر بأن الخطابة ليست فناً من الفنون وهي أشبه شيء  
بصناعة الطبخ التي لا تعد للناس سوى ما تشتهي بطونهم . ومن  
شاء أن يعد صناعة الطبخ فناً حل له أن يعد الخطابة فناً .  
لأن الخطابة التي لا تقوم على الحكمة والفضيلة لا تبلغ إقناع  
السامعين حتى تملئهم بما تشتهي أنفسهم . فهي صناعة للشلق  
والزلفى وليست فناً للحق والصدق .

ويتجاوز سقراط بعد هذا الحد إدراك العامة من الناس ويسمو  
إلى جانبه الإنساني الرفيع الذي يحفز الصدق ويحده الحق وحده .  
فإن عامة الناس إن ظلموا انحرفوا على الناس ظلمهم وجاءوا القضاء  
بمحامين يضللون القضاة ويخونون عليهم معالم الحق ويحصلون

القضاة بفصاحتهم على أن يأخذوا بجانب الكذب ويبرثوا الظالمين  
 من طائلة العقاب . فإن نجوا بظلمهم فرحوا بظلمهم وقدروا  
 الخطابة قدرا عاليا وآتوا الخطيب ثمنا بالغا من جيبهم وأموالهم .  
 هذا ما يفعله عامة الناس الذين يؤثرون العافية على الصدق ولا  
 يخافون أن يقيموا على ظلم . أما من أوى قلباً ذكياً مؤمناً كسقراط  
 فلا يؤثر شيئا على الصدق ولا يخل بالخطابة إلا فيما تكشف عن  
 جانب الصدق في نفسه ، فإن اقترف إنما سارع فأقر بإثمه لدى  
 القضاء كما يكفر عن سيئاته ، واستحب العقاب الذي يظهر به  
 نفسه على النجاة بالكذب ، وذلك عنده هو أجر الخطابة وحده .  
 ولنا نجهل أن سقراط كان في ذلك وحيداً مفرداً وأن ذلك كان  
 مذهبه الإنساني الذي تفرد به على الناس . و كان يعلم أن أكثر  
 الأثينيين قد لا يعتقدون هذا الإيمان فاحتفظ به لحياته ولمن عسى  
 أن يؤمن به من الصالحين . وأما إشفاقه على قومه من غواية الخطابة  
 فقد دفعه بيده ولسانه وآية ذلك ما يقصه تلميذه إكزنوفون .

جاء « جلوكون » بن أريستون يريد أن يخطب في الشعب  
 كما تكون له الصدارة يوماً في المدينة . وكان يومئذ فني لم يبلغ  
 العشرين من عمره ، ولم يستطع أحد من أصدقائه ولا من ذويه  
 أن يسكنه والناس يخذلونه من منبر الخطابة ساخرين ضاحكين .  
 واستطاع سقراط وحده أن يسكنه رحمة به ورعاية لصداقة



« شرميدس » بن « جلوكون » ورعاية لأفلاطون أيضا . فلقبه  
 ذات يوم فقال له : « يا جلوكون » أتريد أن تكون لك الصدارة  
 فينا ؟ قال جلوكون : نعم يا سقراط إن ذلك ما أشتي . فقال  
 سقراط : إني وري ! إن هذا الأمل أجهل ما سمعت إليه نفوس  
 الرجال فإن حققته فستحظى بما تريد وتنفع أصدقاءك وتبنى دار  
 أبلك وتوسع آفاق وطنك ثم ترفع ذكرك في أثينا وفي سائر بلاد  
 الإغريق وقد تبلغ قدر « تمستوكل » فيمتد ذكرك حتى بلاد  
 البربار وحينئذ صرت ترمقك الأبصار . فلما سمع جلوكون هذا  
 الحديث انتفضت أوداجه وطاب نفسه بالوقوف . فقال له  
 سقراط : لا ريب يا جلوكون أنك إن أحييت أن يمجذك  
 الوطن فلا بد لك من أن تنفعه . فقال جلوكون : لا ريب في  
 ذلك . فقال سقراط بحق الآلهة يا جلوكون لا نخف على شيء  
 وقل لي بأي شيء تبدأ بخدمة الوطن . فسكت جلوكون وظل  
 يبحث في نفسه عما عسى أن يبدأ به . فقال له سقراط : لو  
 أنك أحييت أن تعمر بيت صديق فستسعى إلى أن تغنيه .  
 وكذلك تسعى سعيك لتغني وطنك . فقال جلوكون : هذا هو  
 الحق . فقال سقراط : ولا شك أنك لا تريد مال أثينا حتى  
 تزيد دخلها . فقال جلوكون : لا شك في ذلك . فقال سقراط :  
 حدثني إذا ما دخل هذه المدينة ومن أين لها هذا الدخل . ومن

الجلى أنك قد درست هذا الأمر كىما تستطيع أن تعوض النقص  
 إذا لم تجد دخلها كافيا . و كىما تستطيع أن تسد العجز إذا  
 غاب الدخل . فقال جلوكون : بالله يا سقراط إننى لم أدرس هذا  
 الأمر . فقال سقراط : إن كنت لم تدرس دخلها فحدثنى عما  
 عسى أن يكون خرجها فلا ريب أنك تريد أن تلغى الزائد منه .  
 فقال جلوكون : بالله يا سقراط إننى لم أدرس هذا الأمر .  
 فقال سقراط : لندع ثراء المدينة . ولكن كيف تريد أن تسوس  
 المدينة وأنت لا تعلم دخلها وخرجها ؟ فقال جلوكون : ولكن  
 نستطيع أن نغنى أوطاننا من خسائر أعدائنا . فقال سقراط :  
 بالله ما أصدق ذلك لو كنا أشد مراساً من أعدائنا فإن كنا  
 أضعف منهم فقدنا أموالنا الخاصة . فقال جلوكون : هذا حق .  
 فقال سقراط : إنه ينبغي لمن أراد أن يحارب قوما أن يعلم قوته  
 وقوة أعدائه حتى إذا رأى أمته أقوى جانيا من عدوها نصيح لها  
 بالحرب . وإن آنس فيها ضعفا نصيحها أن تتق الحرب . فقال  
 جلوكون : إنك تقول صدقا . فقال سقراط : قل لى إذن ما قوة  
 أثينا فى البر وفى البحر وما قوة أعدائها . فقال جلوكون : بالله  
 يا سقراط إننى لا أستطيع أن أقول لك ذلك شفاهاً . فقال  
 سقراط : فإن كنت كتبت فى ذلك شيئا فاستمعنيه . وسأصغى  
 إليك بكل لذة . فقال جلوكون : بالله إننى لم أكتب شيئا .



فقال سقراط : لنضع الحديث عن الحرب فلعلك لم تدرس  
فتوتها لسعتها وأنت حديث عهد بالسياسة . وأنا أعلم أنك فكرت  
من قبل في أمر الدفاع عن أرضنا وأنت تعلم ما يكفي من جند  
الثغور وتعلم عدد ما يريد كل ثغر وتعلم إن أشرت أن تشير  
بزيادة القوى اللازمة وتسريع ما لا يلزم . فقال جلوكون : بالله  
لأسرحهم أجمعين . فإن اللصوص لا تحفل بهم شيئا . فقال  
سقراط : لو أنك سرحت حراسنا أفلا نظن أنك تفسح السبيل  
لمن أراد فيبعث بأرضنا ما شاء . ولكن هل زرت بنفسك هؤلاء  
الجند وكيف علمت أنهم ساءت حراستهم ؟ فقال جلوكون :  
إنني أفترض ذلك . فقال سقراط ألا ترى أن ندع هذه المسألة  
حتى نعلمها عن يقين ولا نقنع فيها بهذا الافتراض ؟ فقال  
جلوكون : وربما كان ذلك خيرا . فقال سقراط : إنني أعلم  
أنك لم تزر مناجم الفضة حتى تستطيع أن تقول للأثينيين ما باها  
لا تغل اليوم كما غلت من قبل . فقال جلوكون : إنني لم أذهب  
إليها . فقال سقراط : لا شك أنك لم تذهب إليها لأن الناس  
يقولون إنها فاسدة الهواء وذلك عذر جميل أن تدلي به إذا تشاور  
الأثينيون في هذا الأمر . فقال جلوكون : إنك تسخر مني  
يا سقراط . فقال سقراط : إنني أعلم أنك لم تدرس هذا الأمر .  
ولكنك درست الغلة التي تثمرها أرضنا . ودرست كم تكفي هذه

الغلة لغذاء المدينة . ودرست ما يلزم المدينة عاما . حتى تكون  
 على بينة إذا أصاب المدينة نقص في غلتها . وحتى تعلم إذا  
 شاورتك المدينة في الأشياء الحيوية اللازمة أن تنقذها وتعصمها  
 من القحط . فقال جلوكون : إنك تسألني أمراً عسيراً إذا شئت  
 أن آخذ نفسي بكل ما تريد . فقال سقراط : وأخيراً لا يستطيع  
 امرؤ أن يحسن القيام على داره حتى يعلم كل ما يلزمها وحتى  
 يهيئ لها ما تريد . والمدينة قائمة على أكثر من عشرة آلاف بيت  
 ومن العسير أن تقوم على إدارتها جميعاً مرة واحدة فما بالك لانهاول  
 أول الأمر أن تعمر بيتاً واحداً كييت عمك وهو بلا شك بحاجة  
 إلى التعمير . فإن استطعت أن تعمر بيتاً واحداً كان لك بعد ذلك  
 أن تسعى إلى تعمير بيوت الآخرين وأن أنت عجزت عن أن  
 تنفع داراً واحدة فكيف تطمع أن تعمر دوراً كثيرة . كالذي  
 يعجز عن حمل عبء خفيف ثم يحاول أن يحمل الأعباء الثقيل .  
 فقال جلوكون : لقد كان يبدى أن أعمر دار عمي لو أنه  
 رضى أن يفتنع برأى . فقال سقراط : أما وقد عجزت عن إقناع  
 عمك وحده فكيف تحسب بعدها أنك قادر على إقناع الاثنينين  
 جميعاً وفيهم عمك ؟ ! فاحذر يا جلوكون أن تقع في المخزيات  
 وأنت تطمع في المجد . أو لا ترى أنه ضرب من الخبال أن نتكلم  
 فيما لا نعلم وأن نعمل ما ليس لنا به من علم . ثم تدبر أمر



هؤلاء الذين ترى والذين يتظاهرون ويقولون ويعملون ما ليس لهم  
 به من علم فهل تراهم أهلا للحمد أم تراهم أهلا للوم ؟ وهل  
 تراهم أهلا للإعجاب أم تراهم جديرين بالاحتقار ؟ ثم تفكر  
 في أمر أولئك الذين يعلمون ما يقولون وما يفعلون وأنا على يقين  
 أنك ستجدهم أهلا للذكر الحميل في كل أمر وتراهم موضع الإكبار  
 والإعجاب بما يعلمون . وما كانت الشهرة المشينة والاحتقار  
 إلا نصيب الجاهلين . فإن كنت تشتهي الخجد والله كره في المدينة  
 فأحرص على أن تعلم كل العلم ما تحب أن تعمل فإذا بلغت  
 في العلم ما لم يبلغه الآخرون فخذ نفسك بعدئذ بسياسة المدينة  
 ولست أعجب بعدها أن يتيسر لك كل ما تشتهي .

## الأعمال والأيام

كان في حياة سقراط جانب « أثيني » وجانب إنساني . وقد بلغت أثينا هذا الجانب الإنساني فيما خلقت عقول الأكثرين من بينها : فقد تجاوزوا في خلقهم حاجة العامة إلى آفاق الكاملين ، فلا يكادون يصورون شيئا حتى يرى الإنسان الحى في كل أرض ولا يتحدثون عن شيء حتى تصفى إلى ضمير الإنسان النبيل في كل دهر . ولكن هذا الجانب الإنساني الكامل في حياة سقراط إنما كان - لو تفكرنا - سببا إلى غاية عزيزة على الأثينيين وهي سعادة أثينا نفسها . فالإنسان كائن سياسي كما يقول أرسطو : فهو يعيش بآماله وأعماله لمجد المدينة ، ولا تسعد المدينة إلا بفضائل الصالحين من بينها . وكانت غاية سقراط أن ينهض إلى خلق من يسميهم « حراس المدينة » - أي حاكميها - حراسا ساهرين على سعادة أمتهم .



وقد شغف سقراط حبا بمدينته وعاش لا يخبر في قلبه هذا  
 الحب ولا ينصرف عنه للناحية من نواحي المنافع الدنيا . وقد  
 استأثرت أثينا بأفئدة العالمين وآمال الصالحين من بنينا فخلتوا  
 أرواقهم وأغلى ما تلقىه الطبيعة في أعناق الناس . واشترأت  
 أعناقهم إلى المجد الذي يسمو بأمتهم إلى الخلود . وقد رأيناهم  
 يؤمنون بهذا الخلود إيمانا لا ريب فيه . وقرنوا هذا الخلود بما تصنع  
 أيديهم من صور الجمال والخير . ولا سبيل لأمة أن تبلغ ما بلغت  
 أثينا حتى يجاوز بنوها نطاق الهوان ويخطوا في أنفسهم أغلال  
 المادة ويمضوا مصعدين لا يلبثون على شيء من دون الكمال . ولو  
 أنهم قنعوا بما يقنع به عامة الناس من رضا وموت بهم الحياة دون  
 أن تخرج الأنفس كنوزها من الجمال والعقل ما قدست أمتهم  
 من أفئدة العالمين . وما كان عبثا أن تحج الإنسانية العالمة إلى  
 أثينا ونظا مواقع أقدام الحكماء والشعراء والخطباء والمصورين .  
 فلم تقنع أثينا من بنينا الصالحين بشيء دون أن يحملوا نور الجمال  
 والخير إلى العالمين . وقد طوت الأقدار أرض أثينا لحراب الغالين  
 غير مرة لكنهم إن تكشفوا ما تضمر هذه المدينة من كمال  
 إنساني قبعوا عند شعاعها كالطفل الجاهل السامع المطيع .  
 وصغرت عليهم حرايبهم وأعزوا هذه الأرض التي غطت بترابها

الأبطال والحكماء . وما كان عبثاً أن يقول قائل منهم : إن أرواح  
الأبطال حراس للوطن . وفي أرض هؤلاء الأبطال تخبر الجباه  
سجداً للجمال المفرد العلم الذي سما بالإنسان إلى آفاق الخير  
والكمال . وفي آثار هؤلاء الأبطال تمتد آمال الصالحين من كل  
أرض وفي كل زمان لتتلقى نور الإنسانية وتسمو بالإنسان إلى  
ما خلق له حقاً من الكرامة والخير .

وكان سقراط يصغي في ضميمه لدعاء أمته التي تدعوه في  
صحوة وفي منامه : خذ نفسك بالفنون الحميلة . ثم يتلو عليه هاتفيها  
نداءه غير مرة : خذ نفسك بالفنون الحميلة . ونجار هذا الحكيم  
في تأويل هذه الأحلام فما كان سقراط بشاعر يتمضي في الشعر .  
وما كان سقراط بموسيقى يتمضي في الموسيقى . وما كان مصوراً ولا  
مثالاً ليخلق مثل ما خلق : فيدياس : وتلاميذه من الصور  
والتماثيل ... وقنع سقراط بأن يجعل الحكمة فيه الحميل الذي  
يعيش ويموت له ... فلم يعمل أبناء أثينا عملاً مفاجئاً متقطعاً  
تمليه صحوة في ساعة من ساعات العمر . وإنما كانت أعمالهم  
أعماراً . وكانت أعمالهم أعمالاً يحيون ويموتون لأمل مفروض



لا تحيد عنه نفوسهم ... ومن وراء أعمارهم تمتد أيمانهم بمشاعل  
 الخير والجمال إلى الناس .. حتى إذا قضت أمتهم فلم ينهض من  
 بينها ناهض يتلقى هذه المشاعل بإيمان مكثت هذه الأيدي تمتد  
 إلى الإنسانية جميعاً وما تزال تمتد بنور الإنسانية إلى أن  
 يشاء الله .

وكان الفن الجميل الذي وهب له سقراط نفسه حياً وميتاً  
 هو أن يعلم أمة فن السياسة الحق وكانت قد أغفلته ساعة غابت  
 معالم الحق في ليل المظالم والفن ....

لا تصلح هذه السياسة إلا بما يصلح به أولها وهو التفضيلة  
 والعدل .... وتستسمع إليه طائفة ولا تعي نداءه طائفة . وغرب  
 ساعة أثينا بعد ساعة سقراط . ولكن حكمة الأقدار قد صيرت  
 أثينا شيئاً أشبه بأبطالها . فلا يكاد يطويها الغروب حتى تشرق  
 من ناحية أخرى شمس ليست أدنى بهجة من شمس الحياة .  
 ونضىء معالم السبيل للإنسانية جميعاً . ونمتد آفاق أثينا  
 فنحتضن آفاق الإنسان من كل جنس . وتكون حياة بنيها

الصالحين أسوة للصالحين . ونسمع نداءها ونداءهم في  
الحالدين ....

ونادى سقراط قومه فقال يا قوم إنه لا يصلح لسياسة أمة إلا  
الفاضلون . والفضيلة الاجتماعية السياسية هي العدالة .. وهي  
جامعة لسائر الفضائل . وما كان أمرها يسير على كافة النفوس .  
لأنها تكلف في سبيل سعادة الآخرين .

وقد حسب أرسطو أن نداء سقراط لا يفسر معنى الفضيلة  
السياسية الحقبة : لأن الفضيلة إذا أخذت على علاقتها قد تلقى  
في أذهان الناس معنى الفضيلة السلبية التي تعتزل ولا تشارك في  
سياسة الأمة . فليس يكفي أن يكون السياسي فاضلا كاملا دون  
أن ينهض إلى سياسة أمة . وليس يكفي أن يقبع في عزلة هادئة  
طيبة لا تتلاطم من حولها الأمواج ولا تعصف بها الأعاصير .  
وأن ينعم هنالك بنعيم فضله وعقله في مصفاء السكون .... ولا قدر  
لهذه الفضيلة السياسية من دون نضال وجهاد .. حتى يجاهد المرء  
نفسه في نشوة الحكم . ولا قدر لهذه الفضيلة السياسية من دون  
نضال في سبيل الخير العام .. حتى يناضل المرء ما يلقى من أهواء



وما يعوقه من معوقات الأشياء والأحياء . وحتى يحمل العبء  
 حكماً عادلاً صالحاً تقياً عالماً شجاعاً . وما تغني هذه الفضيلة عن  
 أحد إن اعتزل الأمر وخلي السفينة للمفسدين . « إننا لا نجعل  
 بطولة الأولاد إلا للمصارعين الذين يصارعون في ساحة البطولة  
 بأنفسهم وما يكتفيهم أن يكونوا أجمل الناس ولا أقوى  
 الناس ولكنهم لا يملعون تاج البطولة حتى يصارعوا في سبيل  
 هذا التاج . »

ومن أجل ذلك فليس يحل للأحد أن يكون فاضلاً حقاً حتى  
 يولى فضيلته وكماله شطر صالح أمته . . . وقد ظهر في الفلاسفة من  
 بعد سقراط مذهب المعتزلة الذين يجتنبون السياسة في سبيل  
 الحكمة ويؤثرون العافية على النضال . . . . وقد حسب كثير من  
 الأئمة سقراط من المعتزلة لأنه لا ينهض إلى منبر الخطابة في  
 « الأجورا » كسائر السياسيين . ولام الأئمة الذين لم يستمعوا  
 إليه ولم يعقلوا قوله هذا المذهب العجيب . إذ يرونه شيخاً كبيراً  
 منبثاً بين أطفال أثينا يقضي بينهم نهاره وطرفاً من الليل وخالوه  
 مجنوناً . . غير أن سقراط شاء أن يدفع السيل من منبعه كما رأينا  
 وأنبت بين الناشئين في حياتهم الأولى لبعضهم من سيئات المطاعم  
 وليصبرهم حراساً وحكاماً صالحين . لو كان بعد ذلك جندياً شجاعاً

لا يزلزل أركان نفسه خوفاً ولا يحرص على شيء من أنفال الحرب ويلقى إلى أصدقائه ما يقسم له من مغنم القتال . وكان إذا قضى لا يحسب حساباً لأهواء الأثينيين وإن غضبوا وإن سخطوا ، ولا يحكم إلا بالعدل وبما ينفع الناس . وكان يمشي إلى الصالحين العالمين فيعرضهم على أن يعملوا أمانة السياسة كما يتحدث تلميذه اكرينفون :

فقد رأى سقراط أن شرميدس بن جلوكون يتهيب السياسة فلا يرشد أمته ، وكان أخا فضل وعلم بالسياسة . فقال له سقراط : حدثني يا شرميدس . أرايت لو أن رجلاً كان أهلاً لأن يكسب تاج البطولة في الأولامب وكان أهلاً لأن يؤوب بالحمد ويرفع ذكر أمته في سائر بلاد الإغريق . ثم رأيت بعد ذلك لا أريد أن يتزل إلى مصارعة الأبطال فماذا عسى أن تعدد ؟ قال شرميدس إني أعده رجلاً جباناً لا خير فيه . فقال سقراط : معاً بالنار إن رأينا رجلاً أهلاً لسياسة مدينته قادراً على أن يوسع الخير عليها وأن ينال من وراء ذلك ذكراً ثم لا يفعل ذلك - ألا تعدد جباناً عاجزاً لا خير فيه ؟ فقال شرميدس : هذا حق ، ولكن ما حملك على أن تسألني هذا السؤال ؟ فقال سقراط : إني أجذك كفناً



لأن ترعى أمتك رعاية صالحة . وأجداك تتخلى عن سياستها ،  
وهو أمر محتوم عليك لأنك واحد من بنينا . فقال شرميدس :  
فيم عرفني صالحاً لهذا الأمر ؟ فقال سقراط : عرفت ذلك في  
الجامع التي تجمع بينك وبين ساستنا . فإن شاورك في أمر  
أشرت بالسداد م وإن أخطوا في أمر عدلت أخطاءهم . فقال  
شرميدس : شتان ما بين ما تبديه في مجامعنا الخاصة من رأى وبين  
منازلة الخصوم في المجالس السياسية . فقال سقراط : إنه  
يستوى على العالم بالحساب أن يحسب وحده وأن يحسب  
بين الناس ، ويستوى على من يحسن العزف على القيثارة  
أن يعزف وحده وأن يعزف في الخافل . ثم ما يزال به  
سقراط حتى يقنعه أن يدخل في حلبة السياسة كما تسعد  
بنفسه وعلمه أتمه . فإن سعدت أمته امتدت سعادتها إليه  
وإلى أصدقائه ...

وهذا الحديث دليل على أن سقراط كان يدعو إلى فضيلة  
إيجابية علماً وعملاً ، فيحض الصالحين ويشيط البهاهين ويحارب  
مواطن العلة في نفوس الأثينيين . وقد أثرت عنه عبارة ما تزال  
أصدق حكمة المعلمين « إن أكبر ما على المعلم أن يفهم »

جذوة المجد في نفس المتعلم . فإن علم الطلاب أنه لا خير هم حتى  
 يكونوا رجالاً صالحين هال عليهم في سبيل العلم كل جهد وبلغوا  
 بأنفسهم غاية السبيل . ولا سبيل لمعلم أن يوقد في أفئدة المتعلمين  
 جذوة المجد . حتى يكون في نفوسهم كاملاً . وحتى يكون عالماً  
 مؤمناً . وحتى يبصروا خلال حياته وعلمه شعاعاً من قبس المجد  
 الذي تولى إليه آماضهم . وهبهات أن يبلغ هذا المجد كل معلم .  
 والذين بلغوا هذا المجد كانوا هداة ورسلاً . وكانوا بعد ذلك  
 « ورثة الأنبياء » . وكانت أثبتا تعد الشاعر معلماً ولا يكون  
 الشاعر شاعراً حقاً حتى يجعل أمة أمة صالحة . وكانت تعد  
 الحاكم معلماً . ولا يكون الحاكم حاكماً حقاً حتى يصير أمة  
 أمة صالحة . وكانت هذه غاية المعلمين في كل فن . فليس  
 التعليم بقاصر على طائفة تباع معرفتها بمال قليل أو كثير . ثم  
 لا نستطيع أن نحبي قلباً ولا نستطيع أن نسمو بنفس . ولا  
 نستطيع أن نخلص لرسالتها إخلاص المؤمنين . كان سقراط  
 لا يبيع علمه بمال . وكان مؤمناً برسائله خالصاً لما لا يريد جزاء على  
 ما أنفق فيها سوى أن يبصر تلاميذه خيرين صالحين . وإلا أن  
 يستمتع بوفائهم لأن الصداقة الوفية الطيبة أطيب منافع الحياة .  
 وكان سقراط لا ينزل نفسه منزلة المعلمين الذين ينتظرون  
 حتى يسعى إليهم تلاميذهم . بل نراه يسعى إليهم يسعى الصديق



إلى الصديق . فيغشي ساحات الرياضة ليلقاهم ويلعب كما  
يلعبون . ثم يسوق اللعب الحكمة التي تزين أفئدتهم بعد ما تزينت  
أبدانهم بالرياضة واللعب . ومن شاء أن يهيئ السعادة لنفسه  
هياً لها بدنأً كأبدان المصارعين وعقلاً كعقول الفلاسفة . وكان  
ذلك مارمت إليه أثينا في تعليمها ونرى سقراط يردد وتلميذه « فيدر »  
نوعاً من سلسيلا في مشارف المدينة ليقرأ كتاباً بين أحضان الطبيعة .  
سقراط : ... تقدم وانظر أين نجلس .

فيدر : ألا ترى هنالك شجرة « بلاتان » عالية ؟

سقراط : بلى .. وما شأنها .

فيدر : سنجد لها ظلاً ظليلاً ونسباً غليلاً ونجد تحتها عشياً  
نليسط فوقه .

سقراط : تقدم إذن .

فيدر : إننا قد بلغنا الشجرة .

سقراط : بحق « هيرا » إنه لموضع جميل وهذه الشجرة عالية  
باسقة ضخمة ، وشجرات « الاخنوس » شجرات  
عالية ذات ظل ناعم وهي في أكمل ازدهارها وبملا  
النضاء بشذى زهورها ، ويجري من تحت « البلاتان »  
نبع جميل بارد مأوّه كما تحس ذلك قدمي . ولعل  
هذا النبع قد نذر لبعض الخور أو « لأخيلاوس »

وأكاد أرى ذلك من هذه الخائيل الصغيرة . ونسيم  
 هذه الأرض رقيق عليل وتسمع لديه ألحان  
 « السبحان » تجاوب أنشودة الصيغ المطربة .  
 وأنعم ما في هذه الأرض هو ذلك العشب المنحدر  
 الطبيعي الذي بهي لمن يتسبط فوقه وساداً مرشحاً  
 لرأسه .

ولا يفتن سقراط بأن يغشى ساحات الرياضة ليلقى تلاميذه  
 بأن يصحبهم إلى أحضان الطبيعة الجميلة كما رأينا لينعموا وإياه  
 بجمال النسيم وما يحمل النسيم من عبق الزهر ومن أصداء الخوام .  
 ثم يزودهم بعدئذ بحكمته ولم يخرج في ذلك عن بساطة الصديق .  
 ولا يلقي تلاميذه بعلم مألوف محفوظ وإنما كانت معرفته « مذاكرة » .  
 وأولى سقراط مقدرة معجزة في إحياء ما نسيت نفوس سامعيه من  
 قيم الخير وأصول الجمال . ولا يغمرهم بأثر محفوظ معلوم وإنما  
 يسألهم وهم يجيبون دون أن يعتمدوا في جوابهم على رأى محفوظ  
 موروث . وشاء سقراط بذلك أن يحيي ما أغفل تلاميذه من معاني  
 الفضيلة التي اعتزت بها أئمتنا من قبل . وأقامها بالحوار على ضوء  
 العقل .

« أعرف نفسك بنفسك » ذلك كان مبدأ مدرسة سقراط .



أى استخراج ما بطن من صور الجمال والخير من نفسك .  
وعرف سقراط كيف يستخرج هذه المعاني مما كمن في أفئدة  
سامعيه . وعلمهم كيف يشعرون ويتفكرون بمنطق صارم شديد .  
وكان يتخذ كل سبيل في إغرائهم بالفضيلة . وكان يحب  
أن يحفظوا قول « برودكوس » عن الفضيلة :

« إنه لمن اليسر أن نبليغ الرذيلة ذرافات ووجداناً ... فسييلها  
معبدة قريبة المثال . وأما الفضيلة فقد فرض الآلهة الحالدون من  
دونها عرق الحيين . وسييلها قائمة شاهقة عصبية أول الأمر فإذا  
بلغنا شرفها رأيناها هينة يسيرة رغم عناؤها . »

ويذكرهم بقول « أبيكاروس » : « إن الآلهة آتتنا الفضيلة  
لقاء ما ننفق في سييلها من نصيب » ثم يمضي سقراط يلقى عليهم  
نبأ الأولين في الفضيلة : فقد ذكر الحكماء أن « هراقليس » قد  
شب عن الصبا ووقف لدى الشباب لا يدري ما يفعل . فإن  
للحياة سييلين لمن أراد أن يمضي فيها : سبيل الفضيلة وسبيل  
الرذيلة . فاتخذ مكانا قصيا لا يدري ما يختار . فأقبلت عليه  
امرأتان جاءته إحداهما تمشي على استحياء . وهي ذات وجه حر  
نبيل وهي تمضي متتدة عاقلة . وتلبس ثياباً بيضاً .... وأما  
الأخرى فهي رخوة غضة بضة تغطي وجهها بطلاء أبيض ونحمر  
تحديها بطلاء أحمر لتبدو أجمل مما خلقها الله . تتخاطر في مشيتها

متعالية لتبدو أعلى مما هي ، ولا تسبل جفניה حياء ولا تكف عن  
 النظر إلى نفسها تريد أن ترمقها الأبصار ولا تفتأ تنظر إلى ظلها ..  
 أقبلنا إلى هراقليس فأما الأولى فقد سارت متشدة ثائثة الخطى وأما  
 الثانية فقد أسرعت نهول إلى ذلك الفتى ، وقالت : « يا هراقليس ..  
 إني أجذك حائراً لا تعلم ما تختار فإن صحبتني فسامضى بك في  
 سبيل اللذات والهوى فلا تغنى بشيء من العيش ولا تهتم بحرب  
 ولا تشغلك السياسة ، ولكنك تقضى زمانك سعيداً مستمتعاً بمتاع  
 الطعام والشراب ولذة السمع والبصر وحلاوة اللبس والخس وشهوة  
 الهوى وتستمتع بالفراش الناعم ، وستجد كافة هذا المتاع هنيئاً  
 مريئاً ، ولا تخف أن أسألك يوم ينضب معين هذه اللذات أن  
 تنفق في سبيلها هما ولا عناء .. ولكنك ستعيش على ما أنفق  
 الآخرون من جهد ، ولا تتورع عن تقع يمينك من ناحية من  
 النواحي ، وأنا أهبي لرفاقي أن ينالوا المنافع حيث كانت » .  
 فلما استمع إليها هراقليس قال لها : أيتها المرأة ما اسمك ؟  
 فقالت إن رفاقي يدعونني « الهناء » وأما أعدائي الذين يكرهوني  
 فيأثمهم يسبونني ويسمونني « الرذيلة » . ثم جاءت الأولى وقالت :  
 « وأنا أيضاً أقرب إليك يا هراقليس فأنا أعرف أبويك وأعلم  
 نفسك منذ الصبا ، فإن سلكت طريقى فستبني ما يمجذك  
 ويبقيك ثم تجعل لي في الصالحين ذكراً عالياً وبهاء ونورا ،



ولست بهيمنة لك في معربات المتاع ولكي أقص عليك الأمر  
 بالحق كما خلقته الآلهة ..... إن الآلهة لم تقدر لأحد مجداً من  
 دون مشقة ولا غناء . فإن أحييت أن يبارك الله سعيك فيجب أن  
 تعبده . وإن شئت أن يحبك أصدقاؤك فيجب أن تحسن إليهم .  
 وإن أردت أن يمجداك وطنك فيجب أن تنفعه . وإن ابتغيت  
 أن يتمدح اليونان جميعاً بقدرتك فيجب أن تعمل عملاً صالحاً .  
 وإن أردت أن تؤثرك الأرض ثمارها فيجب أن تثمرها . وإن  
 أردت أن تكثر رعبتك فيجب أن ترعاه . فاتبعني إذن ولا تتبع  
 سبل الشهوات . واختارت الآلهة هيراكليس سبل الفضيلة  
 وحينئذ سبل الهوى .

## عدالة سقراط

وقضى سقراط أكبر شطر من زمانه يبشر بفضيلة العدالة خاصة .. لأنها هي الأساس الذي تقوم عليه سعادة الحكم في وطنه وتقوم عليه سعادة الأفراد في نفوسهم . وما فتى يبشر بجمال هذه الفضيلة حتى سرى هذا الجمال إلى بيان أرسطو الذي يعد العدالة أم الفضائل جميعا ويرأها شيئا جميلا فاتنا لا يضاهي جمالها . إصباح النهار ولا إمساء العشي . . . وهي الفضيلة التي تحقق ✓ سعادة من حولنا من الناس .. وفصل أرسطو أطراف هذه العدالة فصولا : العدالة الأخلاقية وهي جامعة الفضائل جميعا . ثم عدالة القسمة وهي وقف مناصب الدولة على الأكفاء . ثم عدالة التكافؤ وهي إنشاء كل ذي حق حقه ....

ولم يكن أرسطو يخالف مبدع هذه الفصول ولكنه جمع ما تفرق على لسان سقراط فقد كان سقراط مبشراً وشهيداً . وجعل نسكه وصلاته ومحياه ومماته للعدالة . وذهب في ذلك مذهبا لا يكاد يعقله عامة الأحياء في كل دهر . إنما هو طاعة النفس للحق تطهيراً وزكاة للنفس حتى لا تقوم على إثم يفسدها ويأخذ عليها



سبل الجمال والخير . وبكاد لا يعقله إلا من زكت نفوسهم  
 زكاة طيبة فلا يستحبون لذة الباطل على آلام الحق . ولا  
 يكاد يعقله إلا الشهداء والأنبياء والصالحون . وحارت ألباب الذين  
 يجادلونه في الحق والعدل . إنما يجادلون سقراط بنفوس غلبتها  
 شهوات السلطان والجاه ويجادلهم سقراط بنفس تطيع داعي الحق  
 والصدق وتحتقر شهوات الحياة الدنيا .... ويختم بينه وبينهم  
 جدال شديد يقتلع مذاهب تلاميذه من أصولها الأولى وبطرحها  
 بين أيديهم هشاً فاسداً لا خير فيه . وتلاميذه في ظاهر الأمر  
 بأنونه بما يؤمن به عامة الحاكمين في أثينا في ذلك الزمان . فقد  
 آمن أكثر الحاكمين أن الظلم من شيم النفوس . وأن العدالة  
 شيء من صنع المفكرين وكفى . وهي رياضة للنفس منذ الصبا  
 حتى تدع النفس شهواتها الأولى وتتبع سبل التلقين والرياضة .  
 كالذي يروض الأسد صيباً فينتزع بالرياضة وحشيتة الأولى ثم  
 يستأنسه بالتعليم . فالعدالة تعليم ورياضة ( في زعمهم ) والظلم  
 سجية أولى وغريزة أصيلة في النفس . ثم جاءوا على ذلك ببرهان  
 بين فوق طاعة أهواء النفس . فما تتجافى النفوس عن المظالم إلا  
 إشفاقاً من عقاب وخوفاً من شريعة سنتها جماعة ما ، حتى يعيـش  
 أفراد هذه الجماعة في سلام وحتى لا يمتحن القوي الضعيف .  
 والعدالة ليست ( في زعمهم ) إلا حماية الضعيف من القوي بدائر

السبل المعارضة لسنة الطبيعة التي أبحاث مظلمة الضعيف ،  
 وآية ذلك عندهم أن راعياً للملك ، الميدين ، أوفى ذات نهار سرّاً  
 عجبياً يخفيه عن أبصار الناس ما شاء ، فسولت له نفسه أن يأتي  
 سائر آيات المظالم دون أن يقفه خلق أو يردعه ضمير . فقد  
 زلزلت الأرض من حوله ذات نهار وألقت السماء مطراً شديداً  
 وشقت صفحة الأرض . فنظر ذلك الراعي فرأى في ثغرة في باطن  
 الأرض جواداً من برنز ووجد في جوف هذا الجواد جسد رجل  
 ميت ولا كأجساد الرجال . ووجد في أصبع الميت خاتماً فأخذه  
 ومضى بعدئذ إلى حلقة الرعاة . وكانوا يجتمعون ويتشاورون فيما  
 عسى أن يسيطروا للملك من أمر عملهم . فدار برأس الخاتم حتى  
 انطوى في راحة اليد فحنى عن أقرانه لا يبصرونه وهو قائم بينهم  
 ويتحدثون عنه كما يتحدثون عن غائب . فعجب . ثم طوى  
 رأس الخاتم حتى ظهر في أعلى اليد فبداهم . ولما آمن بسر هذا  
 الخاتم الذي يخفيه إن شاء ويبديه إن شاء خرج في وفد إلى الملك  
 واقتراف هنالك القتل والسلب والمظالم جميعاً ولم يردعه من نفسه  
 رادع . ولو أن كل امرئ قد أوفى قوة تعصمه من عقاب الجماعة  
 ما حال بينه وبين المظالم حائل . وأتاه طائعا لشهواته الأولى ...

وذهب أصحاب ذلك المذهب في اقتناعهم بمذهبهم إلى شأو



قصي . وهو أن الظلم أشهى إلى النفس من العدل . وأن أئما  
المظالم سعيد وأئما العدالة شقي . فحسب الظالم أن يبرع في الظلم  
وأن يبلغ في المظالم المثل الأعلى . وهو أن يستلب العدالة ثوبها  
الجميل فيترتباً بثوبها أمام الناس فيخدع به الجاهلون ويلقوا إليه  
أعنة أمورهم ويأخذ نفسه بالقاعدة المشهورة ( *Paraître et non être* )  
يرأى الناس ولا يكثرث بالحق . ثم يقترف بعد ذلك  
ما طوعت له نفسه من إثم حتى يبلغ مأربه . فيكون له الحول  
والقوة ويشترى أصدقاء ويتألف قلوباً ويعد الناس ويمنهم  
وينذر النذور للآلة فيغفر له الآلة ما تقدم من ذنبه وما تأخر  
ويتكاثر أحمقاه ويبدأ ذكره الأسماع ويتزاحم الناس على بابه .  
أما العدالة في زعمهم فإنها تردى أهلها دار البوار ، وذلك بأن  
العادل الحق لا يزور أمر نفسه على الناس . فهو قانع بخوهر  
العدل لا بمظهره . ولا يحفل بحكم الأحياء على خلقه . ويمضي  
بين الناس بسبطا لا يتم ظاهره عن شيء . وقد ينشابه أمره على  
الجاهلين فلا يدري الجاهلون أعادل هو أم ظالم . لأنه خلع  
ثوب الرياء وعاش عيش البسطاء . وقد يذهب رياء الظالمين  
بفضله لأنهم لبسوا ظاهر العدل ونزلوا في أفئدة العامة منازل  
العادلين وما هم بعادلين في شيء . والعادل الحق لا يأتي زورا  
ولا كذبا . فإذا فرضت فريضة على العادل والظالم على سواء

أخى الظالم بعض ماله وقال العادل كل ماله . فاحتمل من الأعباء  
أضعاف ما يحتمل الظالم . وفاز الظالم بعد ذلك بالسمعة الطيبة وقد  
تعرض صفحة العادل للوم اللاتمين .

ولاريب أننا نجتنب جانب الصواب إن حسبنا أن هذا المذهب  
كان جدلاً مدرسياً وكفى ، وأن ذلك كان عبث الفارغين من  
الأثنيين . وقد رمى سقراط ظلاماً بهذا اللوم كأنه خلى فارغ  
يعادل أبناء وطنه بما لا يغنى من الحق شيئاً . . . . . إنما كان سقراط  
يخارب وباء سياسياً نفثى في أنفس الأكثرين من قومه ، فلم  
يكن لهم مأرب من دون الحكم . واتخذوا إلى الحكم سبيل المظالم  
والأهواء . . . . . كان حكام الطغام من بعد « بيركليس » يؤمنون  
أن العدل ليس شيئاً سوى حق القوى على الضعيف . وانقلب  
الأثينيون شيعاً وأحزاباً يتشيعون لزعماء لا يبتغون شيئاً فوق أن  
يظهروا على منافسيهم ويستوى لديهم العدل والظلم والشرف  
والعار . إنما يمتنون أمنهم الأمانى ويرجون بها في كل ربح عاصفة .  
وكان هذا الخلق السياسى أشبه بالهزة النفسية التي لا تقف عند  
نفس بل تسرى في الأمة إلى أصول الحياة في كل شيء .  
فرعماء السياسة أمام كل عين ومثلهم في الخير وفي الشر  
يعدو إلى نفوس الناس في حياتهم . . . . . وقد تسعد أمة في حياتها



ما شرفت غاية رجاها السياسيين . والذي لا ريب فيه أن تياراً  
خفياً قائماً يسرى بين الحاكمين والمحكومين ، ولا نرى «سولون»  
متجنباً للنظر البعيد يوم لام ممثلاً على مبالغته في تصوير الخلق في  
شعره ، فأجابته الممثل أن ذلك حديث خرافة يولغ فيه فتجاوز  
الصدق صورة لا فعلاً . فقال له سولون : «أولا تدرى أن هذه  
هذه الصورة تسرى من حيث لا تدرى إلى قلوب الناس فتري  
آثارها فجأة في عقودهم ومعاملاتهم ؟»

كان سقراط بعد ذلك مصلحاً شديداً الإحساس بكل ضلالة  
تجتاح أفئدة الحاكمين . ولم ينازله في مطامعهم . بل أحب أن  
يتقى الوباء وأن يعصم المدينة من أساسها . فانصرف يعلم الناشئين  
الذين لم يحتملوا أعباء الحكم من بعد حتى إذا قدر لهم أن يحتملوا  
الأمانة يوماً كانوا أختياراً عادلين . والذين آمنوا من الأثينيين بأن  
العدالة هي حق القوى على الضعيف لم يعدوا حجة يحتاجون  
بها . وأنا أعتقد أن الطبيعة نفسها أملت أن من العدل أن ينال  
القوى نصيباً أكبر من نصيب الضعفاء . ولا خلاف في هذه  
القاعدة في كل مكان بل ترى ذلك سنة في الأنعام والإنسان  
على سواء . ونرى ذلك في المدينة وفي أبناء الأسرة نفسها . إنما  
يملي العدل أن يحكم الصالحون العاجزين وأن يغم القادرون حظاً

من الأموال والثمرات أكبر من نصيب الضعفاء ، وإلا فحدثني  
 بأي حق حمل كسرى على اليونان بجنده وحمل أبوه من قبله على  
 بلاد الاسكيت . . ولا تكاد تحصي أشباه هذه الأمثال . .  
 ولا ريب أنهم قد أطاعوا طبيعة العدل نفسها وهو ما يمليه قانون  
 الطبيعة نفسها . وقانون الطبيعة قد يخالف ما وضعنا لأنفسنا من  
 قوانين ، فإننا نأخذ من سبقنا فضلا وقوة ونهذه صيبا بالإيحاء  
 والإغراء والتخائم ونروضه كأشبال الأسود كما يشب طيعا رضياً  
 ذلولاً ، ونلقنه العفة والمساواة ونعلمه أن ذلك هو الجمال والخير . . .  
 ولكن دع أحداً من أولئك الموهوبين يشب عما ألقينا في عنقه من  
 طوق ويرم القيود والأغلال ويطرح تمامنا ورقانا أدراج الرياح  
 وبعض سائر قوانيننا المخالفة للطبيعة ، فحينئذ يسمى طاغية  
 مستبداً فينا من كان من قبل عبداً ذلولاً . وحينئذ نرى قانون  
 الطبيعة جهراً كوضع النهار ، وإخمال أن « بندار » أفصح عن  
 ذلك الرأي في قصيدته التي يقول فيها :

« القانون الذي أوتي ملك كل شيء في حياة الأحياء والآلهة  
 الخالدين جميعاً والذي شرع للقوى أن يصير كل شيء بيده  
 العليا . »

فما يفعل سقراط في تصحيح هذه النفوس التي فتن بشهوة  
 الحكم ولا ترقب في سعادة المدينة إلا « ولا ذمة ؟ » إنما يناضل بما



أولى من عقل وقوة ، فيقول لصاحبه وهو يخاوره :  
 سقراط : دعنا نستذكر ما قلت أنت ، وبندار ، عن هذه  
 العدالة الطبيعية ، أو لم نقولا إن الطبيعة قد أباحت  
 للقوى أن يفتصب مال الضعفاء ، وأحلت للقادرين  
 أن يحكموا العاجزين ، وأملت أن يكون للقادرين  
 قسط في الثمرات والأموال أكبر من نصيب الضعفاء .  
 فهل تراك قلت شيئاً غير هذا أم تراه على حق  
 فيما ذكرت ؟

كالليكليس : أجل إنني قلت ذلك وأكرره .  
 سقراط : قل لي بادي الرأي أسمى القادر والقوى باسم واحد ،  
 لأنني لم أستطع أن أفهم عنك ما تقول ، وهل تعد  
 القادرين أقوياء وترى أن على الضعفاء أن يطيعوا  
 الأقوياء ، فإن ذلك ما قد فهمت حيناً سمعتك  
 تقول إن العدالة الطبيعية أحلت للدول الكبرى أن  
 تغتال الدول الصغيرة لأنها قوية وقادرة ، وإن  
 القوى والقادر والصالح شيء واحد لديك . أم ترى  
 أن يكون الإنسان صالحاً وهو نفسه عاجز وضعيف ،  
 أو قد يكون الإنسان قوياً وهو نفسه ضعيف ، أم  
 هل تعرف الصالح بتعريف غير تعريف القوى ؟

بين في بربك ما تفرق به بين تعريف القادرين  
والأقوياء والصالحين .

كالليكلس : إني أقول لك قولاً بيناً : إن القوى هو القادر  
والصالح .

سقراط : فالأكثر من عدداً هم إذن أقوى في الطبيعة من  
الفرد . أو ليس كذلك ؟ فقد أسألت أنت أنهم  
يسنون القوانين للفرد .

كالليكلس : ولم لا ؟

سقراط : فقوانين الأكثرين عدداً هي قوانين الأقوياء .

كالليكلس : نعم .

سقراط : وإذن فهي قوانين الصالحين . لأن الأقوياء  
والصالحين شيء واحد فيما زعمت .

كالليكلس : نعم .

سقراط : أولم تقل منذ حين إن الأكثرين عدداً يعدون  
المساواة عدلاً

كالليكلس : بلى ، إن ذلك ما يعتقده الأكثرون .

سقراط : وعلى ذلك فالمساواة عدل ولا فرق إذن بين القانون  
الموضوع وقانون الطبيعة .



حينما ينتهي سقراط إلى أن يسقط خصمه في مثل هذه المناقضة  
يستخدم بينهما الحوار ويحمي وطيس التصال ويشدد بعضهما على  
بعض في الصراع . وتتساقط حجج خصمه بين هزو السامعين  
وتسقط في أعين السامعين هيبة خصوم سقراط . فانظر كيف  
يألم كالليكلس من عثراته .

كالليكلس : إن ذلك الرجل لا يقلع عن سخافته . قل لي  
يا سقراط : أولاً يستحي من كان في سنك من أن  
يلعب بالألفاظ . فإن بدل أحد كلمة مكان أختها  
حسبت ذلك 'غلباً' . فهل رأيتني أفرق بين الأقوياء  
والصالحين . وهل لم أحدثك من قبل أن الأقوياء  
والصالحين شيء واحد لا فرق بينهم . وهل حسبتني  
أذهب إلى أن عدداً من العبيد والمتشردين الذين  
لا قوة لهم إلا في أجسامهم يستطيعون أن يجعلوا من  
قولهم شريعة يسير بها الناس ؟

سقراط : أتقول ذلك يا كالليكلس أيها العالم العارف ؟

كالليكلس : نعم إني أقول ذلك .

سقراط : ولكنني أيها العزيز قد فهمت منذ حين بعيد ما  
عسبت أن تسمى بالأقوياء . غير أنني سألتك لأكون  
على بينة جلية مما تريد . وأنت لا تعد رجلين خيراً

من رجل ولا تعد عبيدك خيراً منك لأنهم أقوى  
ساعداً منك . وعلى ذلك فتعال إلى المسألة من أولها  
وقل لي ما ذا تعني بقولك الصالحين إن كنت تفرق  
بين الصالحين والأقوياء ؟ ثم إن عليك أيها الصديق  
أن تعلمني هوذا ما حتى أستطيع أن أقنع بما تقول .

كالليكلس : إنك تلمز بالقول .

سقراط : لا وحق . زيتوس ، الذي كثيراً ما شبهني به  
لتسخر مني ، ولكن قل لي كيف تعرف الصالحين ؟

كالليكلس : إنهم الأفضلون .

سقراط : إنك ترى بنفسك أنك تقول كلمة مكان أخيها  
وأن ذلك لا يوضح من الأمر شيئاً ، فهل ترى أن  
من نسميهم بالأقوياء والأفضلين عقلاء وحكماء  
عالمين أم تراهم شيئاً غير ذلك ؟

كالليكلس : هم عقلاء عالمون ولا إبهام في الأمر .

• • •

ويشدد سقراط فيرمي خصومه رمية المؤمن للكافر وتجده  
صارماً منهما ما سخراً . وتتجاوز رميته محاوريه إلى ما يهدد وطنه  
من شر سيامي . وكأنه يتحدث إلى الطامعين من الحاكمين  
وإلى المتوثبين إلى حكومة لا تبسط العدل بين الناس ولا تحرص



على شيء كحرصها على المنافع الذاتية العاجلة . فإذا بلغ  
الحاكمون مناصب الحكم بالدهاء أو بالذكاء استمروا مال الدولة  
واختصوا أنفسهم بمغانم كثيرة وطابت لهم اللذات وخرجوا من هذه  
الثروات العامة بنصيب الفاتحين . ولا يطبق سقراط أن يستريح  
الحاكمون حرمان الدولة . فيطلقوا أيديهم في خيرات الجماعة .  
لا يرقبون في الجماعة رحمة ولا شفقة . وينفقون مال الدولة فيما قد  
يكسب الحاكم وحده ما يشترى من الحمد وما لا ينفع الأمة  
شيئاً . ويشفق سقراط من أن يسرى مثل السوء إلى أفئدة الناشئين  
فتشرب أعناقهم إلى مغانم الحكم . فتقوم هذا العوج مرة يتفد  
لاذع اليم . فالطبيب الكامل الذي لا يتزل عن شرف غايته إنما  
يبدأوى المرضى لخير المرضى ولا يجعل للأجر أول همه وآخره .  
فإن حرص على المال وحده فهو مرتزق أجير هوى عن شرف  
الغاية من فنه إلى حاجة المال الدنيا . والراعى الذى يرمى غنمه  
بغاية شريفة تصيره راعياً كاملاً حقاً وصدقاً . إنما يرمى غنمه  
ليعصمها من الذئب ويرد بها موارد الكلاء والماء . فإن هو نزل  
عن شرف غايته فسلم الشاة ليدبحها ويستطعم لحماً هو ورفاقه  
فليس براع في معنى الفن الشريف . وقائد السفينة الحق لا  
يشغل قلبه بشيء من دون سلامة الركب . أما ما يأتيه من  
استمتاع بالبحر وما يناله من قوة وصحة فليس ذلك مأربه الأول

والأخير ، إنما هي مغام عرضية دون غاية فته . وهي السهر  
والحرص على سلامة الركب . والحاكم الحق الذي لا يهوى عن  
شرف غايته إنما يحكم الناس ليصيرهم أسعد حالا ، ولا يحرص  
على الأجر حرص المرتزقة المأجورين . ويحرص على سعادة  
المحكومين وحدهم . فإن لم يفعل فما هو بحاكم حقاً وصدقاً .  
والحاكم عند سقراط لا يحكم الناس لخير الناس وكفى . بل  
لا يكون أهلاً للحمد حتى يجعل وطنه أصلح حالا مما كان يوم  
وليه . ولا يغني عنه ما يوفر على المحكومين من مال وما يزودهم  
به من عتاد إن خلا قلبه من الجمل والخير . ورجال السياسة  
الأثينيين لم يعتصموا من تجريح سقراط حتى « بريكلليس »  
نفسه .

سقراط : إني أريد أن أعلم علم اليقين ما يجب أن يتخلق به  
السياسيون في أثينا . وهل لك قصد إن وليت الأمر  
فيها من دون أن تجعلنا قوماً صالحين فاضلين ؟  
فقد اعترفت غير مرة أن ذلك فرض على من يلي  
سياسة الناس . هل أقررتنا بذلك أم لا ؟ أجب .  
نعم قد أقررتنا ، وأنا أجب نيابة عنك . فإن كان  
ذلك ما ينبغي للسياسة الصالحين أن يوفرؤا لأمتهم ،  
فقل لي ما عسى أن نقول في أمر هؤلاء الحكام



الذين ذكرت منذ حين ، أفتراهم كانوا ساسة  
صالحين ؟ أريد بيركلليس وسيمون وملتياد  
وتيمستوكليس .

كالليكليس : نعم .

سقراط : لو أنهم كانوا صالحين فمن البدهة أن كل امرئ  
منهم قد ترك أمنه أصلح حالا مما كانت يوم  
تولاها .

كالليكليس : ذلك حق

سقراط : وعلى ذلك فهل ترى أن الأثينيين باتوا أصلح حالا  
آخر أيام بيركلليس منهم يوم نهض فيهم خطيباً  
أول الأمر ؟

كالليكليس : ربما .

سقراط : لا تقل ربما ، ولكن قل حتماً ؛ لأن ذلك هو  
النتيجة الحتمية لما أقررناه لو أنه كان سياسياً حقاً  
وصديقاً .

كالليكليس : وماذا تريد الآن ؟

سقراط : لا أريد شيئاً ، ولكن قل لي هل نستطيع أن نقول  
إن الأثينيين باتوا أصلح أمراً على يدى بيركلليس .  
أم هم على النقيض التام من ذلك قد فسدوا على

يدبه ؟ أما أنا فقد سمعت بأذى أن بيركلليس قد  
صير الأثينيين جفاة غلاظ الأكباد وصيرهم كدالى  
ثوارين وجب إليهم الذهب والفضة منذ آجرهم  
على السياسة .

كالليكلس : إنك تصغى يا سقراط لخصومنا .

سقراط : وإنما هنالك شيء لم أسمعته وإنما شهدته بعينى  
وشهدته أنت كذلك . ذلك بأن بيركلليس استمتع  
بسمعة طيبة فى مسئول حياته ولم يرمه الأثينيون  
بتهمة مشينة يوم كانوا أقل صلاحاً فى حياتهم ،  
فلما صبرهم خبرين جميلين اتهمه الأثينيون فى آخر  
حياته بالسرقة وأوشكوا أن يقتلوه وحكموا عليه كما  
يحكمون على أشرار الناس .

كالليكلس : وما معنى ذلك ؟ أفى ذلك ما يشين بيركلليس ؟

سقراط : لا شك أن سائق الحمير والحيل والبقر إن هو إلا  
راع سبى إذا ساق حميراً لا ترفس وبقراً لا ينطح  
وخبلاً لا تعض فأفسدها حتى استوحشت فرفست  
وعضت ونطحت من بسوقها .. أو لا ترى أن  
حارس الأنعام كائنة ما كانت إنما هو شر حارس  
إذا تولى هذه الأنعام فتركها أحسن جانباً مستوحشة



غير ذلول ؟

كالليكليس : فليكن ذلك مرضاة لك

سقراط : فالسياسي الصالح إن هو إلا رجل عادل يرد قومه

عادلين . والعادلون رحماء رفقاء لينون كما يقول

« هوميير » وأما الظالمون فهم قساة جفاة مستوحشون .

وكانت تلك خلال الأثينيين تحت بيركلليس .

ومن أجل ذلك لم يكن بيركلليس سياسياً صالحاً

فاضلاً لأنه لم يبنر في نفوس أهله العدل والرفق

والرحمة . وأما سيمون فقد نفاه الأثينيون عشرة أعوام

ونفوا « تيموستوكليس » وكادوا يرمون « متريدات »

من شاطئ .....

.....

ولا ينكر سقراط الفضل كله على هؤلاء الحاكمين

الذين قدموا لأمتهم خيراً مادياً كثيراً لا يستطيعه

معاصروه في شيء .

كالليكليس : ولكن هيهات يا سقراط أن يصنع أحد من حكام

زماننا شيئاً كالذي فعله واحد من أولئك السالفين .

سقراط : يا عزيزي كالليكليس إنني لا ألوم ما أسدى هؤلاء

السالفون من نفع لأمتهم . بل ترائي أعدهم خيراً

لأمتهم من حكام هذا الزمان وأراهم أقدر على أن  
يزودوا المدينة بما تريد. ولكن إرضاء شهوات المدينة  
كان غاية أولئك وهؤلاء. أما نقويم هذه الشهوات  
بالإقناع مرة وبالإكراه مرة أخرى وحمل بني وطنهم  
على أن يكونوا خيرين فاضلين فذلك ما لم يفعله  
الأولون والآخرون. مع أن ذلك وحده هو عمل  
السياسي الصالح. ولست أنكر على السالفين أنهم  
كانوا أقدر من حكام زماننا على أن يجعلوا لأمتهم  
أسطولاً وأسواراً ومصانع للسفن.

فالحاكم لا يكون حاكماً حقاً وصدقاً حتى يحكم أمة الخير  
أتمه. كالراعي الصالح الذي يسهر على صالح رعيته. ولا ينال  
الحمد حتى يكون أسوة صالحة للعدل والخير وحتى يكون كالوالد  
المؤدب الذي يؤدبها بأدب الصالحين. فيكبح شهواتها إذا جمحت  
ولا يبسط لها في العبث واللذات. وقد عاصر سقراط حكاماً لم  
يحكموا زمام السياسة. كانوا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.  
ويعنون الأمة الأمانى ويخدعونها بالثناء. حتى اختلط الأمر على  
الأثينيين. ورسالة الحاكم الصالح قد تجاوزت المنافع الاقتصادية  
إلى المنافع الخلقية. وهي على ذلك شبيهة في عرضها وبسطها



على طريقة سقراط بتحذير لطايطي المجد من تلاميذ سقراط .  
وهي هجاء لاذع لأشباه « كليون » من حكام أثينا ، وهي بعد ذلك  
إصلاح للحياة السياسية من أصولها الأولى . ولو اتخذ الأثينيون  
السياسة جدلاً لأشفق أكثر الحاكمين على أنفسهم من أمانة الحكم .  
ونخلبت الحكومة لمن أوتى الحكمة والفضل فيهم ولمن كان أسوة  
طيبة للناس . وما جزاء الحاكم الصالح أن يغتال سعادة الأمة  
مرضاة لنفسه . وما جزاؤه إلا ما يكسب من مجد ومن شرف في  
حكومة الناس كما يقول « أرسطو » . فإن طمع في شيء بعد هذا  
من متاع الحياة الدنيا فما هو بعادل ولكنه سلك سبيل الطغاة .  
والذين أخذتهم مكرات الحكم من الأثينيين قد أغفلوا الحق  
واتبعوا أهواءهم وصلوا ضلالاً بعيداً . فالحاكم عندهم يجب أن  
يستأثر بنصيب الأسد من الأموال والثمرات فإن ذلك في زعمهم  
سنة الطبيعة التي فطر الناس عليها . وقد ناصب سقراط هؤلاء  
حرباً عنيفة لا رحمة فيها وغطاهم بهزوه وسخرينه .  
كالليكس : إنني أعتقد أن العدالة الطبيعية قد أملت أن يحكم  
القادر الضعيف . وأن يحكم العالم الجاهل . وإن  
كانوا شركاء في أمر فاز العالم بنصيب أكبر من  
نصيب الضعفاء والجاهلين .  
سقراط : لبث قليلاً فما عسى أن تقول الآن ؟ فهنا التقينا

جميعاً في مكان كما نلتقي اليوم ، وكنا كثيرين  
 عدداً وتوفر لجماعتنا طعام كثير وشراب كثير ،  
 وكان ذلك شركة بيننا جميعاً ولم نكن سواء في قوتنا  
 وكان فينا الضعيف والقوى ، وكان بيننا طيب  
 وهو أعلمنا بهذا الأمر ، ولكنه كان بطبيعة الحال  
 أقوى جسداً من بعضنا وأضعف جسداً من بعضنا  
 الآخر ، وهو أعلمنا جميعاً بالطلب ، أفلا ترى أن  
 نعدّه أصلحنا وأقوانا ؟

كالليكلس : لا شك في ذلك .

سقراط : فهل ينبغي له أن يختص نفسه بنصيب أكبر منا في  
 الطعام والشراب لأنه أصلحنا في الطلب ، أم عليه  
 وهو حاكمنا أن يقسم بيننا الطعام والشراب بالعدل  
 ولا يستأثر بقسط أكبر من حاجة جسمه إن أراد  
 ألا يشكو تخمة . وعلى ذلك فسيكون نصيبه أصغر  
 من نصيب بعضنا وأكبر من نصيب بعضنا بحسب  
 حاجته . فإن حدث أن كان ذلك الطيب أضعفنا  
 جسماً كان نصيب أصلحنا وأعلمنا وحاكمنا أقل  
 نصيب في الجماعة . أو ليس كذلك أيها العزيز ؟  
 كالليكلس : إنك لا تكف عن الحديث عن الطعام والشراب



والأسافة والثروة الفارغة وأنا لا أكسبك عن هذه  
الصغائر .

سقراط : ولكن ذلك الذي نسميه « الأصلح » أو ليس هو  
أعلم الناس ؟

كالليكلس : بلى !

سقراط : وهل يجب أن تختص ذلك الأصلح بأكثر نصيب  
من المال العام ؟

كالليكلس : ولكني لا أقول في الطعام ولا في الشراب .

سقراط : إني أرى ولعلك تريد الثياب ، وينبغي بعد ذلك  
أن يلبس أعلم الناس بالتسبيج أكبر ثوب في الدنيا .  
وأن يمتضي في الأسواق ملفعا بأجمل الثياب وأكثرها .  
كالليكلس : ولكن ما لك ولثياب ؟

سقراط : ولا شك في أن أعلم الناس بصناعة النعال يجب أن  
يكون أغنى الناس في النعال ، وعلى ذلك ينبغي أن  
يتزده الإسكافي في المدينة متعللا بأكثر النعال .

كالليكلس : ما هذه النعال ؟ إنك تهذي .

سقراط : فإذا كنت لا تتحدث عن هذه الأشياء فلعلك  
تريد شيئا كالزراعة ، ولعلك تريد أن أعلمنا بالزراعة  
يجب أن يستأثر بأكثر مقدار من البذور ليبذرهما في

## أرضه الخاصة .

كالليكلس : إنك تبدى وتعيد في نفس الشيء يا سقراط .

سقراط : إننى أبدى وأعيد في نفس الموضوع .

كالليكلس : ولكن بحق الآلهة إنك لا تفنأ تعبت بذكر الإسكافي والطبيب والطباخ كأنما نتحدث عن أشياء هؤلاء .

٦ ولو أن سقراط قد قنع بأن يسخر من حكومة زمانه ، وبأن يعارض مذهب الحاكمين بمذهبه ، وأن يجادلهم بمنطق صارم شديد ، ما تيسر لسقراط أن يكتسب الأنصار من تلاميذه ، وكان أشبه شيء بمعارض سياسي وكفى . ولكن سقراط كان معلما ينزل من أنفـس خصومه وسامعيه إلى موطن العلة التي تشكو منها بلاده ويشكو منها الأفراد في حياتهم العامة والخاصة . فهو يريد أن يعالج نفوس الناس لأن النفوس أمانة بما نأثى من خير ومن سوء . والذي يستطيع أن يهدب النفوس بالتعفف والعدل وحب الجلال والخير يستطيع أن يكفل ثمرات طيبة في أعمال الناس . وكان سقراط يعلم الروح لقصدين : أحدهما أن يعيش الفرد في وئام وانسجام مع نفسه ، والآخر أن تسعد المدينة



بحكامها الرحماء المعقولين وتعيش في وثام وانسجام مع أهواء معقولة  
منسجمة ، ويريد سقراط أن يغير ما بنفوس قومه ليردهم عادلين .  
وقد كان بنفوسهم أن يعيشوا طلقاء من كل عقال وقيد ،  
وكانوا يؤمنون أن الجمال والعقل في طبيعة البشر أن نطلق العقال  
لأهوائنا ومطامعنا إلى غير حد ، وأن نحقق هذه الأهواء الجامحة  
والمطامع العاتية بالإقدام والذكاء ونرضيها بسائر ما تشهى .  
وكان بنفوسهم أن ينحسروا من كل قيد ، فلا تردعهم  
قناعة ولا تعفف . وكان بنفوسهم أن يستمتعوا بشهواتهم البخارفة  
ما أملت لهم نفوسهم المتاع . فالفضيلة والسعادة في رأيهم قائمتان  
في المتاع والحياة المترفة المطلقة من كل قيد . وما عدا ذلك  
فأوضاع إنسانية ليست من طبيعة الإنسان في شيء . وما الحياة  
السعيدة إلا مطامع وشهوات لا يعجزها حجاز . وما الفضيلة في  
زعمهم إلا أن نشبع هذه المطامع والشهوات بكافة السبل .

ويريد سقراط أن يفتح أولى الشهوات والأهواء أن يؤثروا  
القناعة بما في أيديهم على الطمع في ما في أيدي الناس ، وأن يعيشوا  
بنفوس عاقلة مطمئنة على أن يعيشوا بشهوات ليس لها من قرار ؛  
ويريد أن يعلمهم أن السعادة أن تطيب النفس بنظام لا اضطراب  
ولا اختلاط فيه ، فإن مواطن الشهوات في نفس الإنسان طبيعة

بطبيعتها متخبطة ذات النجس وذات اليسار ولا تستقر على قرار .  
 ومن أجل ذلك شبه أحد العارفين بالأساطير ولعله كان من  
 أهل صفلية أو من أهل إيطاليا وكان رجلا أفا فكاكة يلعب  
 بالألفاظ . شبه موطن الشهوات في النفس بالبرميل . لأن  
 هذا الجزء من الروح طبع سهل الاقتناع . وعد السفهاء غرباء  
 عن أسرار الجمال . وشبه موطن الشهوات في أنفس السفهاء ببرميل  
 لا قعر له . وذلك بأن نفوسهم لا تقنع بشيء ولا تستقر على  
 شيء ولا يماؤها شيء . . . . . ويعلمنا أن هؤلاء السفهاء أشقى خلق  
 الله في الدار الآخرة فهم لا يقتلون يحملون الماء في دلو مخروق إلى  
 برميل مخروق . وشبه روح هؤلاء بدلو مخروق فهي روح مثقوبة  
 لا تملك بالخير ولا بالجمال . وهي جاهلة غافلة لا تحفظ  
 الخير ولكنها تنساه . ولا ريب أن هذا تشبيه عجيب . لأنه  
 يصور ما أحب أن أقنعك به ما استطعت . وما أحب أن أيتنه  
 لك إلا لتؤثر حياة راضية معتدلة قانعة بما تملك على حياة لا يروى  
 غلبها شيء ولا تقنع بشيء .

وكذلك تبصر سقراط وهو يهوى إلى أفئدة الناس ليطهرها  
 من فتنة الشهوات ويلقي في رحابها بدور الاعتدال والقناعة .  
 لأن الذين لا يعقلون نفوسهم عن شهوات لا تنهى إنما يشقون  
 وتشتي بهم أمنهم ويسخرون لشهواتهم الضعفاء . وذلك ظلم



تنقضى منه سعادة المدينة .

### عدالة القسمة

من يستير السفينة ؟ وما جزاء ربان السفينة ؟ في هذين الأمرين كل مصائر الدول . وفي هذين الأمرين استنفدت عبقریات المصلحين من فلاسفة اليونان . لأن في ذلك حياة السفينة إن أصاب أهلها خيراً وفيه بوارها إن أخطئوا سبيل الرشاد . ولم تكن هذه العدالة أمراً يسيراً .. وهي رغم رحمتها وعقلها منفرة لقلوب الذين يحكمون الناس عنوة والذين يستبيحون أموال الجماعة . وللقوة سكرة لا تصغي إلى العقل وتكره إن طغت كلمة العدل . ولا سبيل إلى معرفة نفس وما تخفى من قوى الخير والشر حتى تتولى حكومة الناس . ولا ينجو من كبرياء سكرتها إلا من حمل قلباً قوياً لا يسكره الجاه والسلطان .

• • •

والأمر عند فلاسفة اليونان أن تلقى مقاليد الحكم للأصلح وهم يتزعون في حكومتهم الحرة إلى ارسقراطية قائمة على أقدار الصالحين فلو أن عاصفة عصفت بالسفينة وهددت كيانها فليس لها من عاصم إلا أن تهرع لأصلح الركب على قيادتها . ولا يسألون يوماً إن كان فقيراً أو غنياً . وأقدر الناس أحق الناس بالحكومة .

ومن أجل ذلك وقف فلاسفتهم أعمارهم على تعليم الناشئين . ليلفح  
أبناء المدينة أقداراً ساهية صالحة تيسر لهم إن تولوا مقابليد الأمور  
أن يتولوها صالحين . والحاكم حارس للعدل والمساواة . وهو حارس  
لشرف المدينة وسعادتها . وهو حارس وراع ولا ينال الراعي  
والحارس من حمد إن انقلبت الرعية على يديه هزيمة قليلة .  
واتخذ هؤلاء الفلاسفة المعلمون أسوة طيبة في أبطال أثينا الأولين  
الذين درءوا عن أمنهم جنود الفرس في « مراتون » و « سلامين » .  
وهم يريدون حاكماً عادلاً لا يرائي بقدره وعدله . ولا يحرص على  
شيء أكبر من أن يشرب قلوب الناس بالعدل . وكان مثلهم  
في ذلك « أرسيتد » العادل . وكان وفيًا كبيراً على جاه الدنيا  
ولا يحرص على زخرفها في شيء . فقد عاش ومات فقيراً . ولكنه  
مكث درة في جبين المدنية اليونانية . شهد المسرح ذات نهار فلما  
تلا الممثل أبيات « أشيل » إنه لم يرائي الناس بعدله ولكنه كان  
عدلاً حقاً وصدقاً . في قلبه منبت خصب ينبت الحكمة أبداً  
وسداد الرأي أبداً . فالتفت الناس أجمعهم إلى « أرسيتد » .

وليس من الصالح العام أن يتولى مصائر الناس أعجزهم .  
وليس من طبيعة الأشياء أن يكون هادي الطريق جاهلاً بالطريق .  
وقد أملت سنة الطبيعة والعقل أن ينهض بالحكومة الصالحون



المصلحون . وعلى ذلك فلم يقطع الفلاسفة مبشرين ومندرين عن  
 ذلك المبدأ الطبيعي . وهو أن الفروض والتكاليف في حكومة  
 ما يجب أن تلقى في أعناق القادرين الصالحين . وليس في الأمر  
 من خلاف في الطبيعة ولا في المنطق سوى أن القيم الصالحة  
 والأقدار الصادقة لا تكسب هونا ما ، وفي هذا الأمر وحده كل  
 مصير الأمة وكل دين الأمة وكل أمل الأمة . والأمة الصالحة  
 الرشيدة تحرص على أقدار بنينا على سواء ومهما أنفقت في بناء هذه  
 الأقدار فليست تنال إلا خيراً . وسيرتد حرصها قوة لها وسعادة .  
 في الزمن الصالح السعيد من حياة أثينا كان الأثينيون يقومون  
 لأمتهم قيامهم للصلاة . وإذا دعت أبناءها لراي جامع أقبل  
 الفلاحون سعيًا تحت جناح الليل جماعات في أيمانهم مساوقهم  
 وعلى أذرعهم عباةاتهم . وينشدون على الطريق نشيداً قومياً قديماً  
 وينتظرون مجلس الأمة منذ مطلع الفجر ولا يسألون على ما يفعلون  
 إحساناً . ويحمل كل امرئ طعامه زيتونة وبصلة - كما يقول  
 أريستوفان - كل بقدس أمته أكبر مما بقدس أمه وأباه .  
 والذين آمنوا بهذا الحب أنفقوا محياهم وممانهم هذا الوطن وحرصوا  
 على ألا يفوتهم في اليأس والقوة من عسى أن ينقلب عليهم عدوا  
 من بلد عدو . وليس من السياسة إذا يسرت للناس أمهم السبيل  
 أن يقنعوا باهين السير من الأقدار . فإن قيمة كل أمة فيما

تجمع من أقدار قومها .

ولا بد للسفينة من قائد مطاع تتجمع حوله أفئدة الركب جميعاً ، ولن يتبعوه خالصين مخلصين حتى يؤمنوا بما لديه من قدر ، وحتى يعلموا أنه فوق أقدارهم . ولا يكنى ربان السفينة أن يعلم في الركب وحدهم كبحا تسام السفينة ، ولكنه ينبغي أن يكون أكفأ وأصلح وأقدر من كل قائد عدو قد يعترض لسفينته بسوء ، فإذا تجمعت هذه الأقدار لأمة إذا مات منها سيد قام سيد ، أوتيت حظاً من العزة ونشرت السعادة في نفوس أفرادها أجمعين . ولقد استبقت المدن القديمة أيها يكون أعلى قدراً ، كل بما أبدعت عبقريته .

وكما تهض المدينة بالعدل في قسمة الحقوق والتكاليف تنهار المدن بالتفريط في رعاية هذا العدل . والعجب أن يكون أدنى تفريط من الأفراد في الإيمان بالفضائل كأدنى تفريط من الحكومات في القيام على الفضائل ... كل هادم للسعادة والمجد ، ونصيب كل امرئ مهما صغر قوة إن صلح ووهن إن فسد . ولا يتبلى مصالح الأمة إلا القادرون الأكفاء . ولكن هذه الكفاءة لا تكون في سائر الحكومات على هيئة واحدة ، فالحكومة الأرستقراطية تقسم القروض والتكاليف على ذوي القيم السامية ، وحكومة الأغنياء تجعل ذلك الحق لدوى الأنساب والثراء .



والحكومة الديمقراطية تقسم هذه التكاليف على الناس على سواء  
كما يقول أرسطو .

ومهما اختلفت هذه الأسماء فإن القيم الإنسانية التي تعيش  
بها الجماعة هي الأساس الذي تركز عليه كل واحدة من هذه  
الحكومات . فالحكومة الأرستقراطية لا تصلح إلا بالفضيلة ،  
والحكومة الديمقراطية لا تصلح إلا بالفضيلة ، وكذلك حكومة  
الأغنياء لا تصلح إلا بالفضيلة . ويريد أن نقرر كلمة الفضيلة  
كما فسرهما « مونتسكييه » من قبل ، فليست هي الفضيلة المسيحية  
كما يقول . وإنما هي كل ما يكمل الرجولة من خلال . وهي  
الشجاعة والحكمة والعفاف والعلم . والذين يبلغون منازل الكمال  
في هذه الفضيلة ثم يديرون مصائر أمتهم يستطيعون أن يسيطروا  
في رحابها العدل ، وكل نظام يخلق الكملة من الرجال ليتولوا  
قيادة المدينة فهو نظام أرستقراطي مهما اختلفت الأسماء ،  
فكيف تتبدل حسنات هذه الحكومة سيئات ؟ والأمر جلي يوم  
يأتي قوم رجالها وهم من ناحية من النواحي . أساس هذا البناء هو  
الفضيلة . وعلى قدر ما تنهون أمة في هذه الفضيلة يصيبها الإعياء  
فالدمار . وهذا المرض درجات وحسب أمة أن تسأم تكاليف هذه  
الفضيلة حتى تستيق إليها جرائم المرض . فلو أن أمة أرستقراطية  
قائمة على قيم الأفضالين قد زاوجت بين الزوجين على غير موعد

كما يقول سقراط جاءا بظريفة ضعفاء لا حظ لهم من القوة . ثم  
يختار آباءهم أصلحهم لحكومة الناس وما هم بصالحين . فإن  
تقلدوا مناصب الأولين « حكمونا مفرطين وهم حراسنا . ولا يحفلون  
بغذاء الأرواح من الآداب والفنون واستحبوا رياضة الأجسام .  
وبهذا يكون حكامنا المحدثون أقل أدباً وتهذيباً من آباءهم . ويختلط  
الأمر بعدئذ بين طائفتين من الحاكمين . بقية من الأولين  
الصالحين . وطرف من المحدثين الضعفاء . فإن حدث ذلك  
نهض الخلف والشقاق وأنت على آثارهما الحرب والعداوة . فإذا  
انصدع الوثام في المدينة أقبل جيل جديد على الكسب وامتلاك  
الأرض والبيوت . وعف عنها الجيل القديم لا عن فقر لأن الله  
أودعه غنى أبدياً وهو الفضيلة . ثم وقع بأمسهم بينهم واستنفد كل  
فريق بأسه في نضال ونزاع . ثم أتى كلاهما إلى حل وسط فاقنسا  
الأرض والبيوت . ثم إن حكامنا الذين كانوا من قبل حراساً  
ورعاة لقومهم . والذين كانوا يعدون قومهم أصدقاء أحراراً  
ويعدونهم أولى نعمتهم . هؤلاء ينقلبون بعد ذلك طغاة باغين  
ويعدون قومهم عبيداً وخداماً .

وتتضاءل آثار الفضيلة في أنفس المدينة . وينقرض صداها  
شيئاً فشيئاً كلما تبددت قوة حزب الأفضلين . وتبدو كأنها أثر  
بال للناشئين . ويأخذ حب المال عليهم كل سبيل ويعشقون



الأموال كذا يملؤها من يعيش تحت حكومة لأغنياء ، ويعسرون  
الذهب والفضة ويتعطلون حرثهم وكثرت في بيوتهم إختناؤها فيها  
الأموال ، ويعيقون بيوتهم بسياج كثتها وكثر الفقر ، وتعطلون  
منازلهم على النساء وما يجود من متاع .

### حكومة الصواب

ولا يشتحب لك هذا النوع من الحكومة لأجل الأثر لئلا يكون  
لم الحكم كذا في المدينة ولكي سياسة الدولة وقوانينها قلل من يملكون  
عصاها وعطروا من المال ، ومن لم يملك أهل الصواب ليس له من  
الأمر من شيء . وهذه الحكومة قد فسدت فسدت من ناحيتين  
يوم يستملك أهل الأموال والأموال من دور القضية ، فيقول  
قيادة السفينة الخاطئون ويظهر عن قيامها الفقراء ولو كثرت .  
أعلم الناس سياستها ، وهي حكومة فاسدة من ناحية أخرى  
لأنها تجمع مدينتين في مدينة واحدة : مدينة الأغنياء ومدينة  
الفقراء ويكون بعضهم ، لبعض عدواً ولا تثبت العدالة أن تطلب  
حرباً على المدينة جميعاً . وهذه الحكومة لا تستقر من فقر ولا غنى  
على حال ، كثرت جامتها حروب خرج إليها الأغنياء والفقراء جميعاً  
ويؤكد يشهد الفقراء أن الأغنياء الذين تعلقوا في خلاص المال  
لا يظلمون من الحرب ويخلصون عرقاً ويهلكون من الجوع .

وحسب قول الفقراء هؤلاء لم يجمعوا ثراءهم إلا من غفلتنا . ولا  
يلقى الفقراء سلاحهم حتى ينالوا نصيباً في سياسة المدينة ويقسم  
عليهم نصيب من الأرض وتخفف عنهم أقال الديون .

### الحكومة الديمقراطية

فلذا سارت الأشياء سيرة طبيعية لم تقف مطامع الفقراء عند  
حد . ولا يقنعون بشيء من دون المساواة . ويومئذ تكون الحكومة  
للناس جميعاً على السواء . وهذه المساواة في الحقوق قد تكون إحدى  
غايات العدالة الطبيعية . إلا أن الأمر لا يستقيم إذا غلبنا  
مقاييد الحكومة للصالح والمفسد على السواء فلا تستوى الحسنة  
والسيئة . والحكومة الديمقراطية أحوج الحكومات للفضيلة . لأنها  
لا توصد ثناباً للمجد على أحد . إلا أنها لا تصلح إلا بما تصلح به  
الاستقراطية الحققة . أي بقيم الصالحين لا بد لها من الفضيلة .  
ولا بد لها من حب الوطن ومن التعطش للمجد الحق . وإنكار  
الذات وبذل كل عزيز . ودأب لا ينقطع إلى الكمال . ويخلق عادلاً  
عزيفاً شجاعاً وإيماناً راسخاً . وهذه الفضيلة ليست هينة يسيرة ومن  
أماها كان أهلاً لأن يتقلد زمام المدينة . والحكومة الديمقراطية  
الصالحة تختار من تختار عن رشد وتعرف أقدار الصالحين  
وتعرف كيف تجزي المحسنين بإحسانهم . وهي سيادة في اختيارها



وهي طيبة بعد ذلك للحاكمين . والحاكمون لا يستغنون شيئاً فوق  
مجد أمنهم . يوم تفسد قيم الحاكمين والمحكومين في حكومة  
ديمقراطية ترى نظاماً يغري الجاهلين فيه ما تشتهي كل نفس  
من سبقت يده إلى مال الدولة فهو له . وكفى بالحاكمين قدراً  
أن يشبهوا بظاهر القيم وأن يقفوا للخير بين كل مرصد . ثم يخل  
الفساد قلوب الناشئين كما يخل العدو معقلاً ، إذا لم يخذها عامرة  
بالعلم والمبادئ الصادقة السامية وإذا ألفاها خالية من هذه القيم  
التي يعصم الله بها أفئدة أجياله كما يقول سقراط . ثم يستبق  
الأفتراء والادعاء أيهما يتزل منازل الصديق والخصم والمعرفة في  
نفوس الناشئين . حتى إذا امتنع بهذا العقل غلق أبوابه  
كمن لا بدخل عليهما داخل . ثم لا يقبلان نصيح الشيوخ  
العالمين ويستبدان بالأمر . ولا يرعيان للحياة حرمة بل يطرحانه  
بمزجر الكلب . ويسميان التعقل جبناً فيسترعانه مهيناً . ويعبدان  
الاعتدال والاقتصاد في الإنفاق من شيم العبيد . حتى إذا انتزعا  
من أنفس الناشئين كل خير وطهرها من آثار الفضيلة آوى  
إليها الفجور والفوضى والإسراف والتوقع ونرى الأفتراء والادعاء  
يتوجان هذه الرذائل ويرفانها في حفل كبير وينشدان مديحها  
ويضيفان عليها كل نعت محبوب ويسميان الفجور أدباً والفوضى  
حرية والإسراف فخامة والوقاحة شجاعة . ولو أن الحكومة قامت

على عمد من الرذيلة . فليس ينجو منها إلا أن يغر عليها السقف  
من فوقها أو تكون فريسة للطامعين . وإذا لم تمتد إليها يد العدوان  
من بلد غريب جاءها العدوان من أشد أبنائها كفراً وفجوراً .  
فتمض فيها طاغية يحكم فيها بأمره . ولا خير في العيش في ظلال  
الذل فلن يجتمع العدل والذل جميعاً . وكيف تلقى العدل في بلد  
يهدم فيه كيان العزة والكرامة الإنسانية من كل فج ؟ وما تكون  
الأقدار إذا هدمت أفئدة وسلبت آمال . وحرمت الكرامة على  
الناس لا يباح لهم إلا ما يباح للعبيد من معرفة وقدر ؟ ونسخر أمة  
لأمة وتمتص أمة دماء أمة وتستترف نعيم الحياة فيها حتى تن بين  
أحزان الأسى وأثقال الفقر والإعياء . وتثمر ما تثمر وهي مريضة  
حسبة للقاهرين . وما على القاهرين إلا أن يهدموا حياة المغلوب  
من مثابتها . فإذا دخلوا على الأحرار الذين لا يصبرون على ضم  
أخذوا البريء بالمدنّب واخصن بالمسيء والقائم بالطاعن . حتى  
يلقى الرجل منهم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد . وأما أن  
يقبضوا في ديار المغلوب يجندهم بسلطون العذاب على كل نفس  
فلا ينجي الصالحين سوى الموت أو الخروج من ديارهم . وأما  
أن يختاروا في البلد المغلوب ذرية المغلوبين يرضعونهم بلبائهم  
ويشربونهم حبههم ويغلقون عليهم ثمرات الحياة حتى ينصروهم  
على أمتهم وحتى يحلبوا البقرة حتى يدمى ضرعها . ومن وراء ذلك



سياسة تفعل ما لا يفعل السيف فلا تهدم الأجسام وحدها وإنما  
تنتشر في الظلام إلى الأرواح فتهلكها .

### حكومة الطغاة

وأما حكومة الفرد المستبد فقد أثبت في أثينا على آثار مرض في  
الديموقراطية يوم آست الديمقراطية في الأقدار بين العاجزين  
والقادرين ورضيت بالقيم الظاهرة الكاذبة . ويوم نزلت بها علة  
هي آفة الديمقراطية يوم لا يكون للحاكمين والمحكومين مأرب  
أبعد من شهوات أنفسهم ولا يعيشون للدولة وإنما تعيش الدولة  
لشهواتهم . وتنسى فيها الفضيلتان اللتان يقوم عليهما بناء كل  
ديمقراطية صالحة وهما الحرص على أقدار الصالحين والإيمان بأن  
هذه الأقدار للجماعة لا لشهوة الأفراد . ويوم يتخذ هؤلاء الأمة  
نهباً يصيحبون في حجزاته . وقد يهبط جناح الديمقراطية إذا  
أسرفت الديمقراطية على نفسها في الحرية حتى تفقد الحرية  
فضيلتها فلا تحرص على أحد من رجالها ويلقى الحبل على الغارب  
للناس يختارون ما يشاءون ويندسون من الحياة في كل مذهب  
وتخال الحاكم محكوماً وتحسب المحكوم حاكماً وترخص القيم على  
الناس ونسوى الأقدار أمام القانون ويختار الحاكمون بالاقتراع  
أو ما يشبه الاقتراع مما لا يميز الخبيث من الطيب ويومئذ لا ينفع

فيها إلا كل آثم كاذب فاجر تعصيه شهوات الحكم عن كل خير  
ويرتكب في سبيل الحكم كل إثم وينفق كل بلاء في تحطيم من  
من يعوقه عن بلوغ الحكم . ولكي نتيين الأمر عن جلاء نأخذ  
فيه بخديث سقراط :

سقراط : هب أن الديمقراطية بنيت على ثلاث طبقات كما  
هو الواقع : الطبقة الأولى طبقة الطعام . وقد  
جاءت هذه الطبقة من الإسراف في الحرية وليست  
أدنى عدداً من فقراء حكومة الأغنياء .  
هذا حق :

سقراط : ولكن هذه الطبقة أشد بأساً وعنفاً في حكومة  
الديمقراطية منها في حكومة الأغنياء .  
وكيف كان ذلك ؟

سقراط : لأنها لا قدر لها في حكومة الأغنياء . وهي هنالك  
بمعزل عن الحكم هينة لا أثر لها . أما في  
الديمقراطية فلها الأمر كله إلا قليلاً . وهي أشد  
عنفاً وصخباً في القول والفعل . وهي تجلس من  
حول منبر الخطابة تزجر وتكم أفواه المعارضين .  
وهكذا تقضي سائر الأمور إلا قليلاً بيد الطعام .  
والطبقة الثانية دبرت ما لها فحفظته . وهي طعمة



تضعها حكومة الطعام بما تفرض على أموال الأغنياء  
من ضرائب لا يراد بها الصالح العام وإنما يقسمها  
قادة الطعام على الطعام ويخرجون منها أنفسهم  
بنصيب الأسد . والطبقة الثالثة طبقة الصناع  
والعمال وهؤلاء لا يقبلون على السياسة إلا بأجر .  
وعلى قادة الطعام أن يجلبوا رضاهم بمال الدولة .

فإذا ساءت الحرية فأنهت إلى هذا الشقاق عادت السبل  
لمطامع الطامعين . واجتنب السياسة أولو الفضل حتى لا يصيبهم  
نضال الغاشمين . ويمسى كل شيء في يمين الطعام . ويمسى  
الطعام في يمين الخطباء . وهؤلاء إن آتوا من أنفسهم عجزاً  
جردوا الخطابة من الفضيلة فجعلوا الصدق كذباً والكذب  
صدقاً . والخطابة يومئذ أداة هدم . ويومئذ يدوس ذوو الأظفار  
الفضيلة وينقضون يسرون الطعام وينصبون أنفسهم حراساً  
للطعام ويعدونهم ويمنونهم فيطيعهم الطعام وينفذونهم بالنفس  
ويمنعونهم من كل إثم .

فكيف ينقلب طاغية من كان بالأمس حامياً للطعام ؟ إنه  
لم يحام عن حق ولم ينصب حياته للصالح العام . وإنما اتخذ  
حماية الطعام سلباً ينسلق عليه إلى ما رب شخصية . حتى إذا

بلغ مأربه زاده السلطان عتوا وطغياناً . و تراه أول الأمر بساماً  
 يفتي السلام على من يلقى . وينتفي عن نفسه شبهات الطغيان .  
 ويمشي الناس جميع الأمان في الخاص والعام . ويعدهم بأن  
 يخفف الدين عن المدين . ويوزع الأرض على الفقير وعلى  
 أنصاره وسائر الناس . فإذا فرغ من نضال أعدائه الخارجين  
 فهادن طائفة وأهلك أخرى . ونحلا له الخو من هؤلاء . وأشعل  
 نار الحرب حتى لا يستغنى الطعام عن قائلهم أثقل الناس  
 بالضرائب حتى لا يفتقوا من فقرهم وحتى يشغلهم معاشهم عن  
 أن يتآمروا عليه . فإذا آانس من بعضهم حرية واستقلالاً  
 أرسلهم وقوداً للحرب . وقد يكون من أعوانه صرحاء يستفدون  
 ما يرون من فساد جهراً وبالغيب . وهؤلاء أشجع الناس فلا بد  
 للطاغى من أن يبيدهم إن أراد الحكم . حتى لا يبقى في المدينة  
 أحد له قدر . ويجب أن يصوب عينيه على كل شجاع وكل  
 عزيز وكل حكيم وكل غنى وبقائلهم وينصب لهم الفخاخ  
 حتى يظهر المدينة منهم . وهو يفعل ما يناقض أطباء الأجسام .  
 فهؤلاء لا يبتزون إلا القاسد من الأعضاء . ولكن الطغاة يبتزون  
 الصالحين في المدينة . ثم إن الطغيان يجر الطغيان . ومن أكل  
 أكباد البشر مرة انقلب ذئباً . واتخذ بطانة من العبيد الطبع .  
 ولا ينفك عن البغي حتى يقتل أمه وأباه . فلا ريب أنه يعيش



من مال أبيه هو وضيوفه ورفاقه ورفيقاته . وأن الشعب هو  
الذي ولد الطاغية وعليه أن يطيقه هو وأصحابه . فإن لم يصبر عليه  
سخط وجاهر أنه ليس من العدل أن يعيش ولد في عنقوان الشباب  
من مال أبويه وإنما ينبغي أن يعيش الأب من مال ابنه . وأنه  
لم يلدده وينشئه ليكون عالة عليه هو وعبيده ومن يلوذ به ممن هب  
ودب من الأغراب . وإنما اختاره ليحرر الشعب من الأغنياء  
ومن يسمون الأشراف الطيبين في المدينة . فإذا سخط الشعب  
أمر هذا الطاغية أن يبرح المدينة هو ورفاقه كالأب الذي  
يطرد من الدار الابن وضيوفه الفاسدين . ولا ريب أن الشعب  
يعترف إذن أنه وهو شيخ ضعيف يطارده رجالا أشداء لا قبل  
له بهم . ولا ريب أن الطاغية يأخذ أباه أخذا شديدا . وإن  
لم يسمع ويضع لطمه بعد ما يجرده من السلاح . فالطاغية قاتل  
أبويه وهو ينس الابن لشيوخه أبيه . والأمة التي تسرف على  
نفسها في الإباحة وتحمل على أعناقها طاغية نهوى إلى شر  
العبودية وترسف مقبدة في أغلال العبيد من بطانة الطاغية .

إننا قد تابعنا بعض صور المرض الذي يتتاب كل نظام  
والعلة واحدة مهما اختلفت أسماء الحكومات . من أغفلت قيم  
بنها شيوا عاجزين في أي نظام كان . ولا يغني المال ولا الحرب

ولا السلطان عن الأقدار شيئاً . وحيثما نجحت أمة في بناء قيم  
 أبنائها الكاملة وعاش هؤلاء لأمنهم وللصالح العام نستطيع أن  
 نجد معالم العدل . وفي ظلال العدل تنمو سعادة الأفراد .  
 ومن أجل هذه التفضيلة عاش ومات سقراط .



## إيمان سقراط

وآمن سقراط بالعدالة إيماناً روحياً راسخاً لم يكلف به إلا نفسه . وعجبوا أن رأوا رجلاً يبشر أن المظلوم أسعد من الظالم . وهو يكره أن يكون ظالماً أو مظلوماً لكنه يرى رغم ما يقع تحت ظاهره الحسن أن محتمل الظلم أسعد قلباً من مقترف الظلم . وبسمعه الذين يريدون العبد غنية فلا يكادون يعقلون حديثاً . كيف وإن ينصتوا من حولهم يسمعون عامة الناس تمجد الأقوياء وإن كانوا ظالمين . ثم هم يستمعون لسقراط وهو مغرب في قول لم ينتهاهم من قبل . وفي هذه الناحية تجاوز سقراط آفاق المعلم السياسي الذي رأى توجهاً فقومه . ودخل سقراط بعد ذلك الحد في عداد الأنبياء . وقد ذهب كثير من المؤرخين إلى الجمع بين سقراط وبين المسيح في دعائهما إلى الخير الأعلى والصدق الأعلى . ولم يحجب سقراط عن هذا العالم مطمع ولا دنيا . ومضى بطبع داعي الصدق والحق . وما كان سقراط ليحفل في سبيل الحق بأهواء الأتنيين . ولم يكن سقراط ليخاف في سبيل الحق مقت الأتنيين . فهو يريد أن يجاهدكم كما ينقلبوا

خيرين وصالحين . ويريد أن يؤسسه كما يؤسس الطبيب مرضاه .  
ولا يتزل نفسه منازل السياسيين الذين يخاطبون الشعب بما يرضى  
الشعب وهم لا يؤمنون بحق ولا بعدل . وقد سهر سقراط على  
سعادة الأثينيين دون أن يعبا بهم إن سخطوا وإن غضبوا وهو  
يقول : « إني أعتقد أنني واحد - وإن لم أقل إني الأثيني  
الوحيد - من الأثينيين القلائل الذين يتبعون في أثينا فن السياسة  
الحق . وإني الوحيد الذي يعمل بهذه السياسة في زماننا .  
وإني لم أقل قولاً لأحد مرضاة لأهوائه . وإني لا أريد إلا  
الإصلاح ولا أبتغي لذة السامعين . ويعلم سقراط أن الأثينيين  
قد لا يصبرون على قول الصدق الذي يفضح سيئات الظالمين .  
وأن هؤلاء الظالمين قد يدفعونه ظلاماً بين يدي القضاء . وهو  
يعلم أن الصدق مر على النفوس . وأن الشاء جميل بغير النفوس .  
ولكن ذلك لم يمنع سقراط من أن يختم في حمي الصدق وحده .  
ويريد أن يعيش صادقاً عادلاً وأن يموت عادلاً صادقاً وأن  
يدخل بالعدل والصدق في جزيرة السعداء عند الله . وهو يقول  
إن مثلي إن حاكمه القضاء كمثل طبيب عرض على محكمة من  
الأطفال و كان المتهم طباخاً . ثم أنظر ما عسى أن يقول هذا  
الطباخ إذا نهض بنهمي ويقول : يا أيها الأطفال إن هذا الرجل  
قد أساء إليكم غير مرة . فهو يشوه صغاركم بالبتر والنار



ويستقمهم ويخففهم وبديقتهم مرة الشراب ويكرههم على الجوع  
والظما ويفعل نقيض ما أفعل . فإني أهبي لكم الطعام الخي  
والشراب المري من كل صنف . فما بملك الطيب في هذه  
المصيبة إن أراد أن يقول الحق ؟ فإن قال لم أيها الأطفال إني  
فعلت كل ما فعلت في سبيل محبتكم . ألا ترى أن تهيج المحكمة  
بصياح شديد ؟ وإني أعلم أنه قد يصيبني ما يصيب هذا  
الطيب إذا أنا وقعت تحت طائلة القضاء فلن أباهي بما قدمت  
لهم من متاع ولذات وما تشتهي نفوسهم من حسنات . مع أنني  
لا أحسد الذين يقدمون هذه اللذات . ولا أحسد الذين يتقبلون  
هذه الحسنات . فلو أن أحدا شكاني بما أفسد الشباب في زعمه .  
وبما أضللهم في حوارى . وشكاني بما ألوم الشيوخ وأهل عليهم  
بلساني في مجامعهم الخاصة والعامة . فلن أستطيع أن أقول  
الصدق وأن أقول لهم : إني لم أفل إلا عدلا أيها القضاء . ولم  
أفعل ما فعلت إلا ابتغاء خيركم وصلاحكم . ولا ريب أنني أني  
منهم بعد ذلك حتى .

— وعلى ذلك فإن سقراط لا يبالي بما قد يمس من عذاب في  
سبيل الحق . فقد آمن بعد هذه النصيحة بالله . وآمن بغلوط  
الروح . ويريد أن يظهر الروح من كل رجس وإثم . لتفرض  
الحياة راضية مرضية . ولتدخل بعد الموت في دار الصالحين

أما من حرص على سعادة الحياة فينبغي أن يظهر قلبه من الظلم والعدوان . وأن يسارع إن ارتكب إثماً فيظهر قلبه تطهيراً ويعترف بإثمه وظلمه لدى القضاء ويتقبل ما يقرضه عليه القضاء من عقاب . لأن الإنسان إذا حرص على سلامة جسمه عجل فشكى مرضه إلى الطبيب حتى لا يتفشى المرض من مستصغر الداء إلى سائر الجسم فيهلكه . ويتقبل المريض في سبيل سلامته كافة ما يمل به الطبيب ، وقد يكرى أو يتر موطن الداء من جسمه . وقد يحتمل في سبيل هذه السلامة الآلام والبلاء . وما ياله حين يأتى إثماً أو يرتكب ظلماً يحرص على كتمانه وعلى أن ينجو من العقاب . مع أن للروح سلامة كسلامة الجسد . ومن أقام على ظلم وإن صغر لا يعدم الظلم أن يجر ظلماً بعده . ويتفشى في الروح جميعاً مرض يسد على النفس مسالك الجمال والخير فلا تحفظ في طوبىها سوى المظالم . والمظالم قبيح وكل قبيح عذاب . ومن لا يعجل فيظهر قلبه من العدوان والظلم فجزاؤه أن يعيش في القبح وجزاؤه أن لا يطيب له ضمير بالخير والجمال . وكان سقراط يدين بهذا الدين ، ويؤثر أن يبيت مظلوماً على أن يبيت ظالماً . فليس على المظلوم من إثم يظهره . وإنما على الظالم أن يكفر عن ظلمه فيقبل العقاب طوعاً كما يتقبل المريض الدواء . وكان سقراط ينفجاً



عامة الناس بهذا الإيمان الذي لا يقوى عليه إلا الصالحون .  
 وما أكثر الناس ولو حرص سقراط بعادلين . فهم يجمعون  
 ما لهم ويقيمون سلطانهم على أشلاء الضعفاء . ويستمتعون  
 باستدلال الضعفاء والعاجزين . وآمن سقراط بخلود الروح .  
 وذلك أن المعرفة ليست إلا ذكراً لعلم قديم حفظته الروح . فهي  
 بذلك كائنة قبل أن يكسوها جسم . وهي كائنة بعد أن يبلى  
 ذلك الجسم . فتأوى الروح إلى حياة منعزلة عن الجسم . فأما  
 من عمل صالحاً وعاش تقياً عادلاً فإن روحه تدخل في جنة  
 الصالحين . وأما من عمل سوءاً فإن روحه تتردى في هاوية  
 الجحيم قال سقراط لكاليكليس : « دعني أقص عليك حديثاً .  
 وقد نخاله أنت حديث خرافة إلا أنني أعده حقاً وصدقاً .  
 ولست بمحدثك فيما أقول إلا بالحق . قال هوميروس قد ورث ملك  
 زيوس من بعده ابناه « بوسيدون » و « بلوتون » وأقسما بينهما  
 ملك أيهما وكانت في زمان « كرونوس » شريعة ما زالت قائمة  
 في سنة الآفة . وهذه الشريعة تقضي أن من مات من البشر  
 بعد حياة عادلة طيبة فجزاؤه أن يدخل جزر السعداء خالداً  
 فيها لا يمسسه سوء . وأما من عاش ظالماً كافراً بالله فجزاؤه أن  
 يتردى في سجن يكفر فيه عن ميثاقه وهذا السجن هو ما يسمونه  
 الجحيم . وقد كان الإنسان في بدء الزمان يخاسب حياً على

ما قدمت نفسه . وكان الأحياء يعلمون متى يجيئهم الموت  
 فيأتون لحسابهم بأجسامهم التي تخفى آثار أرواحهم . ونشابه  
 الأمر على قضائهم وأضلهم ما يتبع الأحياء من جاد وشهود  
 يشهدون إنهم نصالحون . ويدخلون بعد ذلك جزر السعداء مع  
 العادلين . وشكا حراس هذه الجزر ما وجدوا في الجنة من أنفس  
 ظالمة تنعم بنعيم العادلين . فأمر « زيوس » أن يخبأ عن الأحياء  
 أجلهم فلا يعلم أحد متى تحين ساعته . وأمر ألا يحاسب  
 الإنسان قبل أن تنسلخ روحه عن جسده وتأتي الروح بمعالمها  
 التي عاشت بها في الحياة ويرسم فيها ما اقترفت من إثم . وحين  
 يعرض أهل آسيا على القضاء يعرضون على « ردامانت » الذي  
 يصفهم صفاً ويتفرس في أرواحهم دون أن يدري صاحب كل  
 روح . بل كثيراً ما يمسك بروح شاه الفرس أو من غداة من  
 الملوك والأمراء فلا يصيب في أرواحهم صحة ولا سلامة . بل  
 يعدها بمجرحة ممزقة بما حثت بأيمانها وما جنت من ظلم . وكلما  
 اقترفوا ظلماً بقيت آثاره معلمة في أرواحهم . ونرى أرواحهم  
 معوجة من آثار الكذب والغرور وليس فيها شيء قوييم لأنها  
 تعجفت في حياتها عن الحق . فإن رأى روحاً قد امتلأت بالقبح  
 من أثر القوضى والحلاعة والتكبر والعجز عن ضبط النفس .  
 رمى بها غير ناظر لمكانتها إلى قرار المحيط لتلقى هنالك جزاء وفاقا



وقد يتزل « ودامنت » بهذه الأرواح عقاباً على قدر آثامها .  
ومن الأرواح من ترجى سلامها فلا تنقسم في الجحيم إلا أجلاً  
معلوماً تكفر فيه عن إثمها وتظهر فيه من رجسها ثم تدخل بعد  
ذلك في دار الصالحين . ومن الأرواح مالا ترجى زكاتها بما  
اقترفت من آثام لا تظهر فتمكت في الجحيم مثلاً للظالمين .  
ولا تنس يا كالليكليس أن الحاكمين قد يكون فيهم الأشرار  
والآثمون ولا يمنع هؤلاء مانع أن يكون فيهم الأخيار الصالحون .  
فإنا قد رأينا في الحاكمين أخياراً عادلين كانوا أهلاً لاحترامنا  
واعجابنا . فإنه من العسير يا كالليكليس أن نجعل رجل حياة  
عادلة إذا أطلقت يده في المظالم من غير أن يحاسبه أحد . وإن  
رأينا هذا الحاكم آتيناه حمدنا وثناءنا وقليل ما هؤلاء الرجال .  
وأنا أعتقد أنهم قد وجدوا في بلادنا وفي بلاد أخرى وسيوجد  
من بعدهم رجال صالحون طيبون بسوسون بالعدل ما قد يلقى  
إليهم من الأمر . وقد كان أرسيد المتمرّد العلم بين الإغريق  
جميعاً وكان وفياً عادلاً وقد حدثتك منذ حين أن « ودامنت »  
إن أمسك بروح من هؤلاء لا يعرف عنها شيئاً فلا يدري من  
صاحبها ولا من قومه . ولا يعلم إلا أنها روح شرير فيرسلها إلى  
الجحيم معلمة بأثر يبين إن كانت تيراً أو لا تيراً من سوتها .  
وحينئذ يلقى الظالم جزاء وفاقاً بما اقترف من إثم . وقد يرسل

« ردامنت » روحاً عاشت تقية تقية في صحبة الحق . وسواء  
 أكانت روح رجل من عامة الناس أم كانت روح رجل من طبقة  
 أخرى . وإن رأى روح فيلسوف حكيم عاش فيها بعينه ولا يوزع  
 نفسه بين الأصناف والفنن أحبها وأمتع نفسه بها وأحسنها وأرسلها  
 إلى جزر السعداء . وإنني يا كاليكليس مؤمن بهذا الحديث  
 وأحرص على أن أقدم لحسابي روحاً طيبة سليمة تقية وأدع عني  
 ما يستمتع به أكثر الناس من آيات التجد وأقف حياتي على  
 الحقيقة . حتى أستطيع بهذا المذهب وحده أن أسعد في حياتي  
 وفي مماتي . وأن أكون خير ما أستطيع .

ولم يؤمن سقراط بخلود الروح إيماناً كإيمان العجائز وكفى .  
 بل علم تلاميذه التقوى بإيمانه وقناعه . لا يفرط في الصلاة  
 وكان مثلاً للصالحين . وكانت لهم في سقراط أسوة صالحة .  
 وكان يقنع تلاميذه بخلود الروح ما استطاع . ولم يأخذوا عليه  
 كذبة في شيء مما دعا إليه . وهم يصحبونه يوم يموت فيشهدون  
 في موته صدقاً فوق سائر ما دعا إليه . فلم يحسبه رفق من خشية  
 الموت وإنما تحدث إليهم بنفس مطمئنة راضية مستبشرة تبدى  
 أطيب ما تحفظ . كالطير المنذور « للأبولون » إذا شارب  
 الموت شدا بأجل صوته . وهو يؤمن بالخلود عن بصيرة . لأن  
 الشيء يخرج من قبضه . كالصحرى بألى من النوم . ويخرج



الحى من الميت ويخرج الميت من الحى . وليس الموت بخاتم  
 للحياة كما يبدو للذين لا يرون سوى الأجسام . إنما الموت عند  
 سقراط بدء حياة أخرى لا تشهدها الأبصار وتدركها قلوب  
 الصالحين . فالروح تدع جسدها حين الموت . وهى نفحة  
 من نفحات الله لا تتبدل بتبدل الجسم ولا تشهدها الأبصار .  
 وترقى إلى عالم شبيه بها . فإن عاشت نقية طاهرة آوت إلى عالم  
 طاهر خالد عند إله حكيم فى جنة النعيم . وتتجرد من الجهل  
 والخوف ومن أهواء الجسم الموحشة ومن شرور الإنسان . وتقر  
 خالدة فى حياة النعم . وإن عاشت لا تتعلق بشئ سوى لذة  
 الأجسام . وتجاقت عن طهارة القلب وتعلقت والهة بالجسم  
 لا تنصرف عن لذات الدنيا . فلا تريد شيئا سوى متعة الشراب  
 والنساء . وتكره الحكمة وما تدرك الحكمة من معانى الجمال والخير .  
 فهى ملوثة بذنوبها مثقلة بأهوائها مستمسكة بمتاع الأرض .  
 وهى ذات ثقل ثقيل لا يسمو إلى جوار الله وإنما تتخبط على  
 على الأرض شقية بين مقابر الموتى وقد يبصر الناس أشباحها  
 الموحشة . وقد آمن سقراط أنه سعيد بما عمل من صالح وأنه  
 يلقى الله بقلب سليم .

## موت سقراط

جاوز سقراط السبعين وجاوزت أثينا سعادتها فخسرت حرب  
« البليونيوز » ( سنة ٤٠٤ قبل المسيح ) وهيض جناحها وغالمتها  
الغوائل وتقوضت عمدها ووقع ما كان يحذر المصلحون . وحقت  
على ساسة أثينا كلمات سقراط واتسعت مسافة الخلف بين أعمال  
سقراط وأعمال الخاكئين وصار حديث الحكيم سوط عذاب  
على نفوس العاجزين . وهم يريدون أن ينسوا صوت الحق  
ويشتمنعوا بخلافهم . وما ندري ماذا أصاب الأثينيين فوق كلوم  
الموت والهزيمة وحكومة الطغاة . وما ندري ما فعل سقراط بين  
بدى هذه الأحداث . وما نحسب إلا أن القدر قد فاجأ الأثينيين  
بقدر شديد أذل العزيز . فاضطرب الميزان في حكم المدينة .  
وتريد طبيعة الأشياء ألا ينتهى الأبطال . ولا تهوى البلاد العزيزة  
كما تنتهى سائر الأشياء . ولا يفسر موتها إلا بسر شبيه بمعجزة  
حياتها . والذين عاشوا لأمتهم ودرءوا عنها العوادي وعاشوا في  
رحاب العزة والمجد . استمسكوا بمصير أمتهم وجعلوا آجالهم  
موقوفة بآجال فكرتهم . كالربان الذي قاد سفينة للعزة والمجد



والذي يؤثر أن يهوى بها في قرارة اليم على أن يسلمها للزمان فريسة  
ذليلة هينة . ونرى أبطال روما الذين عاشوا مجدها وحريتها يتبعون  
مصير هذه الحرية يوم تنزوي هزيمة ونرى ما يقول الشاعر  
« لو كان » في « بومبيه » صورة لأشغال الأبطال في كل دهر  
كالوالد الذي لكل ولده الغالي فهو يشيعه إلى قبره ويوقد لدى  
قبره شعلة الذكرى ويمكث لديه ما شاء الله أن يمكث وأنت  
كذلك يا روما لن أنفض يدي منك قبل أن أحتضنك بحثة  
هامدة ، وأنت كذلك أينما الحرية لن أقلع عن ذلك ولن أكف  
عن ذكرك حتى ولو لم يبق منك إلا صبيحة في واد .

وقد شاء القدر أن يجمع بين مصير سقراط ومصير أثينا التي  
عاش لعزتها . وذلك تأويل مبهم لا نعرف سره إلا إيهاماً . وظاهر  
الأمر أن فئة من الأثينيين قدمت سقراط للقضاء وعابته بإثمه  
فأنهت سقراط بما حنت يمينها . ولقد تفسر صمت سقراط في  
هذه المحاكمة باستعلاء الحزين الذي لا يجد كرامة للكلام والذي  
سئم تكاليف الحياة بعد ما هوت السفينة التي عاش لها . ولقد  
تفسره بكبرياء الحق ، وهو على أي معنى من المعاني صمت  
جميل أكرم من كل قول . أرايت لو أن أباً شيخاً كبيراً قد غاله  
بنوه بعد ما أنفق في سبيل سعادتهم عقله وحياته ودينه ؟ ! ولقد  
سأل سقراط بعض تلاميذه أن يدافع عن نفسه فأبى . وقال إن

حياتي وما قدمت من خير أكرم ما أعددت من دفاع . ولقد  
جاء سقراط بعد ما ذهبت الحرب والوباء بكثير من الصالحين .  
 فلم تغفل أثينا عن آمالها . وما كانت سياسة سقراط بعسيرة على  
الصالحين . ولكن سقراط قد آتس الدار مفقرة ممن حملوا راية  
الحمد . فوقف يدعو إلى دين الفاضلين . وما كان أشبه مصير  
أثينا بمصير أبطالها بين غشبة الحقد وضحي الهزيمة أحداث  
مفاجئة فوق طاقة الأبطال . وتشكل أثينا في الحرب طرفا من  
بنينا ويذهب الوباء بطرف آخر . ويجرد البطل من درعه  
وذخره وكان أثينا والباقيين من أبطالها قد آتسوا سهام القدر ترمى  
مواطن القوة فيهم . لأن أبناء الأمة الصالحين هم عتادها وقوتها  
وكان صونا يتردد في أفئدة المخلصين كالذي تردد في قلب  
الشاعر العربي :

سبقوا هوى وأعنتوا هواهم      فنخرموا ولكل جنب مصرع  
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم      وإذا المنية أقبلت لا تدفع  
وإذا المنية أنشبت أظفارها      ألقيت كل تميمة لا تنفع  
ونهافت أبناء أثينا على الموت فتغيرت عندها آيات الأشياء  
وأشفق أبناؤها خيفة عليها . ونرى « توسيديد » يقصن أحاديث  
أثينا وهي تنردى بين أظفار المنية وهو يعلم ما يقول . فإن هذه المنية  
قد بدلت قيم الأشياء في أنفس الناس . ونراه يصف كل شيء



من وقع ذلك البلاء . فقد كانت أثينا في حرب « اليلوبونيز »  
 تحارب « اسبارطة » على السيادة . وآوت إلى أسوارها أهل القرى  
 من بنيتها . وتكدر الأثينيون في المدينة . ولم ينجأهم إلا وباء  
 لا حيلة فيه للأساة الذين جهلوا الداء والدواء معا ولا يكادون  
 يقربون مرضاهم حتى يخرؤا هم ومرضاهم صرعى . وضلت حيلة  
 الأساة فما أغنى علمهم عن الناس شيئا . وهرع الناس إلى المعابد  
 يضرعون إلى الله فما أغنت عنهم الضراعة شيئا . وضل سعيهم  
 فأقلعوا عن الضراعة والتفانم . وغلبهم الموت فتهافتوا عليه مكرهين .  
 وحارت أبواب الناس فشاخ فيهم أن « اسبارطة » قد دسست لهم  
 السم في الآبار .

ولا نحسب مؤرخاً يفسر ظاهرة الوباء تفصيلاً إلا أن يكون  
 هذا الوباء هادماً لقيم غالية عزيزة ، ويأخذ الوباء بأبدان المرضى  
 فيحرق أجوافهم بلهب شديد لا يطيقون معه مس الثياب  
 ويتهافتون على الماء تهافت الفراش على النار . ومنهم من يرمي  
 بنفسه في الآبار ليضع ظمأ لا يرتوي . ومن أفلت من مخالب  
 الموت لا يفلت من أثر الوباء . ومن الناس من يأكل الوباء  
 أطرافه ويذهب ببصره ويعقبه نسا ينسبه نفسه وذويه . وجاء  
 ذلك الوباء ببلاء لا يبلغه الوصف وجاوز طاقة البشر وعافت  
 الطير والكواسر جثث الموتى فلم تقرها على كثرتها . وهجرت

الطير سماء أثينا خوفاً من الموت . وعافت الكلاب أصحابها رغم  
 ما فطرت عليه من سجية المعاشرة . وهلك المرضى ومن يقوم  
 عليهم ومن ينج بنفسه يد ركه الموت وحيداً ، ومن يغلبه ضميره  
 فيقرب صديقه هلكاً معاً . وأقمرت بيوت كثيرة من أهلها وزاد  
 المدينة بلاء ما تكدر في أسوارها من أهل القرى والذين فتك  
 بهم الوباء فتكا ذريعاً فلم يكن لهم مأوى في المدينة سوى أكواح  
 خائفة . ونراهم هالكين أكواما بعضهم فوق بعض ويتمرغون في  
 الطرقات ويتهاقنون على منابع الماء . وملئت المعابد بحشهم وضج  
 الناس من هول الترع وواروا موتاهم بما استطاعوا ولا ينظرون  
 ما يفعلون . ومن الناس من يلقى موتاه فوق موتى الآخرين ثم يولى فراراً .  
 ولا ريب أن « تومسيد » لم يحفل بهذه الأحداث مسمى ولم  
 يرد أن يصور صورة تأخذ بالآلئاب وكفى . ولكن هذه أحداث  
 لها ما وراءها . فهي ضياع لهذه القيم التي يقوم عليها مجد المدينة  
 سيغير الموت ما شرع الأولون وتنضامل عند الأحياء قيم المعاني  
 الإنسانية فلم تكن أثينا يوم نزل بها الوباء قد تجاوزت زمانها  
 السعيد . كانت يومئذ عزيزة بأبنائها صالحة بالقسم العتيقة  
 الموروثة . فزلزلت آمالها من أثر الوباء والحرب . وشيوخ  
 الأثينيين يومئذ جعلوا يذكرون شعراً قديماً ستأتي الحرب الدورية  
 ويأتي معها الوباء وقد أتى الوباء على المدينة يفوضى بالغة .



فقد استباح الناس من اللذات ما استمروا من فعله من قبل .  
فقد رأوا أن السعادة قد تدبر عن السعداء فجأة وبأتهم الموت  
من حيث لا يشعرون ويذهب عنهم مات تراثه إلى الفقراء نهياً .  
وجعل الناس يولون همهم شطر اللذات لأنهم آمنوا أن الإنسان  
هالك ولا بقاء للمال والإنسان . ولا يشتهي أحد أن يعنى نفسه  
بغاية نبيلة لأنه لا يعرف متى تأتبه المنية ولا يدري أبداً ما ربه  
قبل أن يلحقه الموت . وعدت اللذات بأى ثمن ومن أى طريق  
غابات الجمال والخير . ولا يخشى الإنسان الآلهة ولا القوانين  
البشرية . واستوت القوى والفجور . فقد رأوا الناس جميعاً هالكين .  
ومن ثم لا يدري أحد أيعيش حتى يكفر عن إثمه . وأملت على  
الناس حكمة وهو أن يغموا من الحياة أمة متعة قبل أن يفقدوها .  
ويومئذ استطار في السياسة شر آفة لكل سياسة يوم لا  
تكون السياسة إلا مغنا للفرد ومغرمًا للدولة ويوم ينشبه الساسة  
بالعظاء وما هم بعظاء . وقد فكر الكتاب والشعراء والفلاسفة في  
هذه الآفة وشغلت من حياتهم فراغاً كبيراً . فمن الخير للأفراد  
كما يقول « نوسيديد » أن تسعد المدينة في مجموعتها من أن يسعد  
أفراد وشهار المدينة . لأن الفرد إذا نجح على حين سقطة من  
المدينة فمصييره أن يسقط معها . وإن خسر على حين نجاح  
من المدينة فمصييره أن ينجح معها . فسعادة الدولة سعادة لكل

فرد ونكبة الدولة نكبة لكل فرد . ولا يغنى عن الأفراد ما لهم  
ولا أولادهم ولا جواهرهم في وطن تعس كبير .

بعد هذه الأحداث والخزينة قدم سقراط للقضاء . فاتهمه  
منهموه بالكفر بآلة المدينة وإفساد شباب المدينة . وقد أنصت  
سقراط لنهم المتهمين دون أن يفرغ من الكذب . ورأى قضاته  
يميلون كل الميل دون أن يروعه شبح الظلم . ولم يكن سقراط  
في حياته أكرم على نفسه من لقاء هذا الظالم . واستطاع منهموه  
بفصاحتهم أن يثيروا نفوس القضاء وأن يخرجوا من بينهم بالحكم  
على سقراط بالموت . وقد كان ذلك العقاب ألياً على نفوس  
تلاميذ سقراط . فكتبوا بعد موته يمينون للأثينيين ما ظلموا .  
وكان أفلاطون أشدهم حنقاً على هؤلاء القضاة . فكتب بعد  
موت سقراط دفاعاً عن سقراط تأخذ منه ببعض هذه الصور  
قال : « والآن أيها الأثينيون إنني بعيد كل البعد عن أن أدافع  
عن نفسي كما قد يبدو لبعضكم . ولكنني حريص على سعادتك  
وأخاف ألا تحفظوا نعمة الله عليكم فنقتلوني . وإذا قتلتموني  
فلن تجدوا رجلاً مثلي . ولا تتخذوا ما أقول لكم هزواً . إن الآلة  
قد جعلتني مشوكة في جانب هذه المدينة . لأكون « كالمهمزة »  
في جانب الجواد الكريم الذي قد بثقله عظمته فيخمل ولا بد له



من شوكة المهماز لينشط . وكذلك أرسلني الله إليكم لأوقفكم  
 من سبلكم ولأقنعكم ولألوم كلا منكم ولا أكف عن ذلك كما  
 لاقيتكم . ولا سبيل لكم أن تجدوا رجلاً مثلي . وأولى بكم إن  
 صدقتموني أن تطلقوا سراحي . . ومن يدري لعلمكم تحفنون علي  
 فصر بونتي كما يضرب النائم في سبات عميق من يوقظه . ثم  
 تقتلونني طاعة لآنيوس . ثم تقضون بقية حياتكم من بعدى في  
 نوم عميق إلا أن يرحمكم الله فيهب ليكم رجلاً مثلي . وستعلمون  
 أنني لم أفعل ما فعلت إلا بقدر الله الذي قدرني لكم . فليس  
 من طبيعة البشر أن تروا رجلاً يغفل ماله وداره سنين عدداً ولا  
 يغفل عن سعادته يوماً واحداً ويلقى كلا منكم على انفراد كما  
 يلقي الوالد ولده والأخ أخاه . ويخضعكم على أن تتحلوا بالفضيلة  
 والعلم . ولو أنني فعلت ما فعلت ابتغاء جزاء أو نصحتكم رجاء  
 أجر . كان في فيها فعلت مبرر . وإنكم ترون منهي قد خلعوا  
 عذار الحياء فاتهموني بكل إثم . ولكنهم عجزوا عن أن يأتوا  
 بشاهد واحد ليشهد على أنني سألتكم يوماً ما جزاء أو شكوراً .

ومما أفلاطون تهم المتهمين ببيان كيبان المخامين . فدمغ الحجة  
 بالحجة . وأزهق الباطل بالحق . فأما التهمة الأولى وهي أن سقراط  
 قد كفر بآلهة المدينة فالمستول عنها في رأى أفلاطون هو

« أريستوفان » الذي صور هؤلاء القضاة مذ كانوا فتية سقراط  
معلقاً في الهواء يريد أن يكشف حجب الطبيعة ولا يؤمن بالله  
ويؤمن بالسحاب وينصر الباطل على الحق ويعلم الناس الكفر .  
فشب أبناء أثينا من ذلك الجيل على صورة باطلة وهي أن كل  
فيلسوف كافر . فلما قدم سقراط للقضاة كان قضائه قد أعدوا  
منذ الصبا لقبول هذه التهمة . وأما التهمة الأخرى وهي أن  
سقراط قد أفسد شباب أثينا . فهي نقطة قد نغمها القضاة أنفسهم  
على سقراط . فإن سقراط وتلاميذه قد انطلقوا في الأسواق  
يكشفون عن جهل الجاهلين . وإن فئة من « فتية المدينة » قد  
صاحبوني وهم الذين كان لهم من ثرائهم فراغ من الوقت فصاحبوني  
غير مكرهين . واستمتعوا بمذهبي في امتحان الرجال . وكثيراً  
ما قلدوني فانطلقوا يتحننون أقدار الرجال من بعدى . وإخال  
أنهم قد أثاروا حفيظة الذين يحسبون أنفسهم على شيء من العلم  
وهم لا يعلمون من العلم شيئاً أو لا يكادون يعلمون منه إلا قليلاً  
والذين أصابهم هذا الامتحان قد حنقوا على ولم يحنقوا على هؤلاء  
الفتيان . وقالوا إن رجلاً يسمى سقراط كافر مفسد للشباب .  
وتجاوز أفلاطون عن القضية ليفصل حياة أستاذه تفصيلاً .  
وليبيين ورعه وتقواه وإيمانه وشجاعته ووفاءه لأمته . وقد قال ما لم  
يرد سقراط أن يقول . وظهرت كرامة هذا الشيخ الحكيم غير



مرة على ريشة تلميذه أفلاطون الذي بعده القدماء أشعر الكاتبيين  
 هذا أيها الأثينيون ما أدافع به عن نفسي والذي بقى لا يختلف  
 عما قدمت من حجج . ولعل أحدكم إن نظر في نفسه فقارن  
 بيني وبينه ثارت ثائرته لأنه إن وقع في ضائقة دون هذه الضائقة  
 وقف يبكي وبضرع ويبتهل ويلدرف ما شاء الله أن يذرف من  
 الدمع . ويأتىكم بأطفاله ليستدر رحمتكم ويأتىكم بفوج كبير  
 من أهله وأصحابه . أما أنا فلن أفعل من ذلك شيئاً وإن كنت  
 ألقى أشد الأخطار كما ترون . . . ولعل بعضكم إن ذكر لكم ذلك  
 صغرت عليه نفسه فغضب وقضى على . . . ولو أن أحداً منكم  
 وجد هذا الشعور فلن أستطيع أن أحدثه بهذا الحديث :  
 يا عزيزى إن لى أهلاً وعشيرة ولم أولد من حجر ولا من شجر .  
 كما يقول « هومير » . ولكنى ولدت من البشر ولى أهل وبنون  
 لى ثلاثة أبناء : أما أحدهم فبنى يافع . وأما الآخران فصبيان  
 صغيران . ولست آتى بأحد منهم إليكم استدراكاً لرحمتكم . وما  
 بالى لا أفعل ذلك أيها الأثينيون ! إننى لم أفعله عن تكبر ولا عن  
 احتقار لشأنكم . ولست بسبيل أن أبين لكم إن كنت ألقى  
 الموت شجاعاً أم لا . ولكنى لا أفعل ذلك لأنى لا أراه جديراً  
 بسمعى ولا بشرفكم ولا بشرف المدينة جميعاً . فليس يحتمل فى  
 أن أفعل ذلك بعد ما بلغت من العمر ما بلغت وأدركت من

الشهرة ما أدركت حقاً أو باطلا . فقد شاع بين الناس أن رجلاً يدعى سقراط قد تفرد على الناس بالفضل ، وإنه لمن العار أن يرتكب الذين أوتوا قدراً من الفضل في الحكمة أو في الشجاعة أو في فضيلة ما العجب من العجز والضعف حيناً يقدمون للقضاء كأن الموت إحدى المكاره . وكأنهم يحسبون أنهم خالدون إذا برأتم ساحتهم . إن هؤلاء يخرجون على أمتهم الخزي والعار . فإن رأهم غريب حل له أن يقول إن زعماء الأثينيين الذين رفعهم الأثينيون إلى حكومتهم وآتوهم الصدارة في كل شيء .. أولئك سيكون من الأحداث كما تبكي النساء .

وبين الحكم بالموت على سقراط وبين تنفيذه فترة من الزمن قضاهما سقراط في السجن . وإن تلاميذه المصطفون الأخيار يقبلون منذ الفجر فيجتمعون على ربوة الخطابة التي اتهم عليها سقراط وكانت تشرف على باب السجن . ثم ينتظرون حتى يفتح السجناء لهم ويدخلون لدى سقراط يجادلونه في خلود الروح . وكان سقراط يلقي الموت يبشر واطمئنان لأنه فائحة حياة خالدة سعيدة . وآمن سقراط أن الصالحين العادلين خالدون عند الله وعند الطيبين الأخيار كما رأينا ، وهكذا قضى أعدل الناس كما يقول أفلاطون !!



ظهر حديثاً :

## هاتف من الأندلس

للمغفور له الشاعر الناصر علي البخازم بك

صفحة من صفحات الأندلس المليئة بالطرب والمرح  
والحسن والغيرة والدمائس والمؤامرات كتبها فقيده الشعر  
والنثر قبيل وفاته وجلا فيها قصة ولادة وابن زيدون  
بأسلوبه المشرق الواضح (الجزء ٢٥ قرشاً)

منزلة الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

ظهر حديثاً :

## مأساة مايرلنج

للأستاذ محمد عبد الله عنان

دراسة تاريخية تحليلية مستقاة من الوثائق الأمبراطورية  
النموية عن مصرع الأرشيديوق رودلف ولى عهد  
النمسا وعن تلك المأساة الخفية الغامضة المعروفة  
بمأساة مايرلنج والتي كان لها الدوى العظيم في الغرب  
والشرق . (الجلد ٢٠ قرشاً) .

دار المعرف  
مصر



# افلاذنا

مجموعة من القصص الرشيقه المفيدة  
يوجد فيها الطالب في جميع مراحل النمو  
المتعة والثقافة وحمو النفس .

الكتب التي ظهرت :

- |   |                     |                                |
|---|---------------------|--------------------------------|
| ١ | عمر ون شاه          | تأليف                          |
| ٢ | مملكة السحر         | للكاتب الفرنسي شارل بيرو       |
| ٣ | كريم الدين البغدادى | تأليف                          |
| ٤ | آلة الزمان          | عن الكاتب الإنجليزي ه. ج. ويلز |
| ٥ | الأمير والفقيه      | عن الكاتب الأمريكى مارك توين   |
| ٦ | كتاب الأدغال        | للكاتب الإنجليزي رديارد كبلنج  |

ثمان الكتاب ١٠ قروش

تصدرها

دار المعارف بمصر

بإشراف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

1873



LIBRARY	LIBRARY	LIBRARY
07 SEP 2005	22 JUL 1998	Circulation Dept 2





183.2:B151sA:c.1

بهنسی، علی حافظ

سقراط

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01002691

Am

Beirut

183.2

B151sA



183.2

B151sA

C.1